

العنوان:	رسائل ابن حزم الاندلسي : دراسة تحليلية
المؤلف الرئيسي:	عقيلان، تميم أحمد
مؤلفين آخرين:	خريوش، حسين يوسف(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1994
موقع:	اربد
الصفحات:	1 - 207
رقم MD:	720493
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة اليرموك
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت 456 هـ ، التراجم، الرسائل التاريخية، النقد الادبي
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/720493">http://search.mandumah.com/Record/720493</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

عقيلان، تميم أحمد، و خريوش، حسين يوسف. (1994). رسائل ابن حزم الاندلسي: دراسة تحليلية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة اليرموك، اربد. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/720493>

أسلوب MLA

عقيلان، تميم أحمد، و حسين يوسف خريوش. "رسائل ابن حزم الاندلسي: دراسة تحليلية" رسالة ماجستير. جامعة اليرموك، اربد، 1994. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/720493>

الباب الرابع

البُعد الأدبي

## الفصل الأول

أسلوب ابن حزم بين العلم والأدب

## الباب الرابع

### البعد الأدبي

#### الفصل الأول

#### أسلوب ابن حزم بين العلم والأدب

يُرَجَّح محمد أبو زهرة أن كتابة ابن حزم «للطوق» كانت وهو دون الأربعين وذلك لما يراه في كتابه هذا من نفسٍ مُشرقةٍ مُقبلةٍ على الحياة، والهدوء الذي اتسم به أسلوبه في عرض مادته، وهذا الأسلوب مُباين لأسلوبه في الكتب الأخرى والتي كتبها بعد الأربعين «كالفصل في الملل والأهواء والنحل» و«الإحكام في أصول الأحكام» وموسوعته الفقهية «المحلى» حيث اتسم أسلوبه فيها بالحدة والعنف، وشتم خصومه في الرأي، وتقريعهم وتجهيلهم والتهمُّم والسُّخرية منهم بالفاظ مرّة قاسية لا تصلح لأسلوب الحوار العلمي، ولعل ذلك يعود إلى ما لحق به من مَرَضٍ أصابه في الطحال كما ذكر لنا أو لاختلاف طبيعة الموضوعات العاطفية الرقيقة وما يُناسبها من أسلوب عن موضوعات الفقه وأصول الفقه والفلسفة والمنطق وغيرها ممَّا تلوَّن بالجفاف في عرض الأدلة والاستنتاجات العقلية المحضة»<sup>(١)</sup>.

وأما رسالة ابن حزم «في مداواة النفوس» فيرى محمد أبو زهرة أنها رسالة جمعت تجاربه الذاتية الغنيّة إلى ما استمدّه من فلسفة أرسطو وأفلاطون وخاصةً في إعادته الفضائل إلى أربعة أصول: العدل، والعقل، والسخاء، والشجاعة، إضافةً إلى ثقافته الواسعة وعلمه الواسع بالقرآن والسنة<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن حزم متميزاً في كتابته النثرية، وليس هذا فحسب، فقد انتقد الأساليب أيضاً، وكان له نظرٌ في المذاهب النثرية<sup>(٣)</sup>. وأصدق دليل على ذلك ما كتبه في رسالتيه: طوق الحمامة، ومداواة النفوس. فهو قد ضمّن رسالته الأخيرة

(١) انظر مجلة العربي - الكويت - العدد ٥٧ سنة ١٩٦٣ مقال بعنوان «الفقيه الذي عالج الحب في رسالته الشهيرة»: ٢٨.

(٢) انظر المصدر نفسه: ٢٨.

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس: ٢٣٠، ٢٣١ - نشر وتوزيع دار الثقافة - بيروت - لبنان.

الطبعة الخامسة ١٩٧٨. وانظر تاريخ الأدب الأندلسي - عصر الطوائف والمراطين: ٢٨١.

- مداواة النفوس - خلاصة تجاربه، وأودعها حكمته، فكانت على شكل عبارات مكثفة، معانيها غزيرة بعبارات قصيرة وألفاظ قليلة.

ولقد مارس ابن حزم النقد حينما أصدر أحكاماً على الشعر الجيد، وبُين صفاته، ورثب العلوم حسب أهميَّتها، وتكلَّم على صناعة الشعر في كتاب «التقريب»<sup>(١)</sup>. كما أصدر أحكاماً على شعراء الأندلس كما ورد في رسالة «في فضل الأندلس»<sup>(٢)</sup>. ويبيدي الدكتور إحسان عباس رأيه في نشر ابن حزم، ويبين أن التقرير لا بد أن يكون فيه تكثيف، وأما الحكاية فلا تحتاج إلى تكثيف إذا صوّرت الشخصية الرئيسية، وذكر أن الوصف عنده فيه تكثيف، وهذا النوع من أحسن نشره، وربما اعتمد على بعض الصور الشعرية<sup>(٣)</sup>. وفي «طوق الحمامة» أخذ ابن حزم بالترسُّل وكان فيه سهلاً غير متوعر ولا متكلف، وقد نرى فيه عبارات مسجوعة بشكل غير مقصود، لا تكلف فيها، ثم إن فيه ما يدلُّ على تمكُّن من هذا الفن خاصة حين يعمد إلى الوصف، فما هو يقول في وصف جارية كان قد أحبها: «عديمة الهزل، منيعة البذل، بديعة البشر، مسبلة الستر، فقيدة الذام، قليلة الكلام، مغضوبة البصر، شديدة الحذر، نقيّة من العيوب، دائمة القطوب، حلوة الإعراض، مطبوعة الانقباض، مليحة الصُّدود، رزينة العقود، كثيرة الوقار، مُستَلدّة النّفار، لا تُوجّه الأراجي نحوها، ولا تقف المطامع عليها، ولا مُعرّسٌ للأمل لديها، فوجهها جالب كلّ القلوب، وحالها طارد من أمها. تزدان في المنع والبخل، ما لا يزدان غيرها بالسماحة والبذل، موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو...»<sup>(٤)</sup>. فنلاحظ قدرة فائقة عنده على الوصف ولا يُغفلُ الدقائق، وهو واضح في تعبيره تماماً، يُلدُّ للأذن وله موسيقى عذبة. وفي موضع آخر يصف صديقاً

(١) انظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، د. محمد رضوان الداية: ٣٠٩، ٣١٠ - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ -

١٩٨١م. وانظر تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة: ١٤٥ وما بعدها، ودراسات أدبية في الشعر الأندلسي، سعد

اسماعيل شليبي: ٤١، ٤٢ - دار نهضة مصر للطبع والنشر - الفجالة - القاهرة - ١٩٧٣م.

(٢) انظر تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ٢١٠ - ٢٢٨.

(٣) انظر رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ٨٢، ٨٢.

(٤) انظر المصدر نفسه: الطوق: ٢٤٩.

مخلصاً فيقول: «وَمِنْ الْأَسْبَابِ الْمُتَمَنَّاةِ فِي الْحُبِّ أَنْ يَهَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْإِنْسَانِ صَدِيقاً مَخْلَصاً لَطِيفَ الْقَوْلِ بَسِيطَ الطَّوْلِ، حَسَنَ الْمَأْخَذِ، دَقِيقَ الْمَنْفَذِ، مُتَمَكِّنَ الْبَيَانِ مُرْهَفَ اللِّسَانِ، جَلِيلَ الْحِلْمِ وَاسِعَ الْعِلْمِ، قَلِيلَ الْمَخَالَفَةِ، عَظِيمَ الْمُسَاعَفَةِ، شَدِيدَ الْإِحْتِمَالِ صَابِراً عَلَى الْإِدْلَالِ، جَمُّ الْمَوَافَقَةِ جَمِيلَ الْمَخَالَفَةِ، مُسْتَوِي الْمَطَابَقَةِ، مَحْمُودَ الْخِلَاقِ، مَكْفُوفَ الْبَوَائِقِ، مُحْتَوِّ الْمُسَاعَدَةِ، كَارِهاً لِلْمُبَاعَدَةِ، نَبِيلَ الْمَدَاخِلِ، مَعْرُوفَ الْغَوَائِلِ، غَامِضاً بِالْمَعَانِي، عَارِفاً بِالْأَمَانِي، طَيِّبَ الْأَخْلَاقِ، سَرِيَّ الْأَعْرَاقِ، مَكْتُومَ السَّرِّ، كَثِيرَ الْبِرِّ، صَحِيحَ الْأَمَانَةِ مَأْمُونَ الْخِيَانَةِ، كَرِيمَ النَّفْسِ، نَافِذَ الْحَسِّ، صَحِيحَ الْحَدْسِ، مَضمُونِ الْعَوْنِ، كَامِلَ الصُّنُونِ، مشهورِ الْوَفَاءِ، ظَاهِرِ الْغَنَاءِ، ثَابِتِ الْقَرِيحَةِ مَبْذُولِ النَّصِيحَةِ، مُسْتَيَقِنَ الْوُدَادِ، سَهْلَ الْإِنْقِيَادِ حَسَنَ الْإِعْتِقَادِ، صَادِقَ اللَّهْجَةِ، خَفِيفَ الْمُهْجَةِ، عَفِيفَ الطَّبَاعِ رَحْبَ الذَّرَاعِ، وَاسِعَ الصُّدْرِ، مُتَخَلِّفاً بِالصَّبْرِ، يَأْلَفُ الْإِمْحَاضَ وَلَا يَعْرِفُ الْإِعْرَاضَ، يَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ بِبِلَابِلِهِ، وَيُشَارِكُهُ فِي حُلُوهِ وَمُرَّةِ، وَيُفَاوِضُهُ فِي مَكْتُومَاتِهِ وَإِنْ فِيهِ لِلْمُحِبِّ لِأَعْظَمِ الرَّاحَاتِ، وَأَيْنَ هَذَا؟ فَإِنْ ظَنَرْتُ بِهِ يَدَاكَ فَشُدُّهُمَا عَلَيْهِ شَدُّ الضَّنَيْنِ، وَأَمْسِكْ بِهِمَا إِمْسَاكَ الْبَخِيلِ، وَصُنَّهُ بِطَارِفِكَ وَتَالِدِكَ، فَمَعَهُ يَكْمَلُ الْإِنْسُ وَتَنْجَلِي الْأَحْزَانِ وَيَقْصُرُ الزَّمَانُ وَتَطْيِبُ الْأَحْوَالُ وَلَنْ يَفْقِدَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ عَوْناً جَمِيلاً وَرَأياً حَسَناً»<sup>(١)</sup>. هذه القدرة الفائقة على الوصف عند ابن حزم تستمدُّ من ثقافته الواسعة، وبيئته الجميلة، وتمكُّنه من اللغة، وروعة تشابيهه، وهي تختلفُ في النثر عما هي عليه في الشعر. ولا ننسى بيئته الخاصة، وحياته الناعمة في القصور وتأثير ذلك على أسلوبه فإذا أسلوبه يمتاز بالسهولة والوضوح والبعد عن التكلف في العبارة، وكلماته تأتي بعفوية ولكنها معبرة تماماً عن المعنى.

ويستخدم ابن حزم التكرار في عبارات متقاربة لزيادة التوضيح كما في قوله: «واعلم - أعزك الله - أن للحُبَّ حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً، وأمرأ لا يُخَالَفُ وَحِداً لا يُعْصَى، وَمُلْكاً لا يُتَعَدَّى وَطَاعَةً لا تُصْرَفُ وَنَفَاذاً لا يُرَدُّ، وَأَنَّهُ يَنْقُضُ الْمُرَّ، وَيَحِلُّ الْمَبْرَمَ، وَيَحِلُّ الْجَامِدَ وَيُخِلُّ الثَّابِتَ، وَيَحِلُّ الشِّغَافَ، وَيُحِلُّ الْمَمْنُوعَ، وَلَقَدْ شَاهَدْتُ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَا يُتَّهِمُونَ فِي تَمْيِيزِهِمْ وَلَا يُخَافُ عَلَيْهِمْ

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١ - الطوق: ١٦٣، ١٦٤.

سقوط في معرفتهم، ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدسهم، قد وصفوا أحباباً لهم في بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس، ولا يرضي في الجمال، فصارت هجيراًهم وعرضة لأهوائهم ومُنْتَهَى استحسانهم .....<sup>(١)</sup>. ولبراعة ابن حزم في الوصف فإنه لم يقف فيه عند وصف الأمور الظاهرة، بل تعدى ذلك إلى وصف حال الوصل عنده، ووصف مشاعره، ووصف نثرأ وشعراً كيف كان يسري الحب في نفسه، كما وصف ذلة المحب بين يدي المحبوب فقال: «وعني أخبرك أنني ما رويت قط من ماء الوصل، ولا زادني إلا ظمأ، وهذا حكم من تداوى بدائه وإن رفة عنه شيئاً ما. ولقد بلغت من التمكن بمن أحب أبعد الغايات التي لا يجد الإنسان وراءها مرمى فما وجدتني إلا مستزيداً، ولقد طال بي ذلك فما أحسست بسامة ولا رهقتني فترة»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن حزم في وصف ذلة المحب أمام المحبوب: «وحضرت مقام المعتذرين بين أيدي السلاطين، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين، فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدي محبوب غضبان، وقد غمره السخط وغلبه الجفاء. ولقد امتحنت الأمرين، وكنت في الحالة الأولى أشد من الحديد، وأنفذ من السيف، لا أجيب إلى الدنية ولا أساعد على الخضوع، وفي الثانية كنت أذل من الرداء، وألين من القطن. أبادر إلى أقصى غايات التذلل، وأغتني فرصة الخضوع لو نجع، وأتحل بلساني، وأغوص على دقائق المعاني ببياني، وأفنئ القول فنوناً، واتصدى لكل ما يوجب الترضي»<sup>(٣)</sup>. ومن وصف ابن حزم الرائع قوله في وصف فتاة كان قد ضمها معها نشأة الصبأ: «..... ومعها جارية من بعض قراباتنا من اللاتي قد ضممتها معي النشأة في الصبأ، ثم غبت عنها أعواماً كثيرة، وكنت تركتها حين أعصرت ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب، وتفجرت عليها ينابيع الملاحة فتردأت وتحيرت، وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فأشرققت وتوقدت، وانبعثت في خديها أزاهير الجمال فتمت واعتمت فأتت كما أقول:

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١ - الطرق: ١٢٩، ١٣٠.

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١ - الطرق: ١٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٦.



خريدة<sup>(١)</sup> صاغها الرحمن من نور  
لو جاءني عملي في حسن صورتها  
يوم الحساب ويوم النفخ في الصور  
لكننت أحظى عباد الله كلهم  
بالجنتين وقرب الخرد الصور<sup>(٢)</sup>  
أما الشعر عند ابن حزم فخاضع لأحكام شرعية فقهية، فيه ما هو خير  
مطلوب من حيث هو وعاء لمعرفة لغة العرب وروايته من أجل هذه الغاية تعد  
ضرورية، ومن حيث هو منشط للنفس منبه لها، وقد جعله في أربعة أنواع:  
الأول: الغزل والشعر الرقيق، وهو عنده من النوع المحرم الذي ينبغي الابتعاد  
عنه لما يشيعه من الفتنة والخلاعة والانحلال.  
الثاني: شعر التصعك والحروب، وينهى عنه لما يثيره من الفتنة وإزهاق الأرواح  
في الباطل من غير وجه حق.  
الثالث: شعر التغرّب، وينهى عنه كذلك لما يدعو إليه من تعلّق المرء بالتغرّب وبما  
يصنّب التخلص منه ويؤيّن له كثرة التحوّل والابتعاد عن موطنه الأصلي.  
الرابع: الهجاء، ويرى أنّه أفسد أنواع الشعر لما يهبط بصاحبه إلى مستوى  
السفهاء، ويبتعد بهم عن كرامة النفس، ويسهل عليهم نهش الأعراض  
وهتك العورات. وبشكل عام هو يدعو إلى التقليل من رواية الشعر،  
ومع عدم اتخاذه وسيلة للكسب لأنّه كسب غير مشروع ومن باب أكل المال  
بالباطل. ويبدو لي أنّ في كلام ابن حزم حول رواية الشعر شيئاً من  
التناقض فهو في الوقت الذي يدعو فيه إلى التقليل من روايته قائلاً:  
(وأيضاً فإن الإكثار من رواية الشعر، هو كسب غير محمود، لأنّه [من]  
طريق الباطل والفضول، لا من طريق الحق والفضائل)<sup>(٣)</sup>. وفي مكان آخر  
يذكر أنّه هو نفسه أكثر من رواية الشعر حيث يقول: (ولا يظنّ ظان أنّ  
هذا علم جهلناه فذمناه، فقد علم من داخلنا أو بلغه أمرنا كيف توسّعنا  
في رواية الأشعار وكيف تمكنا من الإشراف على معانيها، وكيف وقوفنا

(١) الخريدة: البكر لم تُمسس (انظر القاموس المحيط: مادة خ ر د).

(٢) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١ - الطوق : ٢٧٣ ، ٢٧٤.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ٤ : ٦٨ ، ٦٩.

على أفانين الشعر ومحاسنه ..... الخ»<sup>(١)</sup>. فإن كان المسوِّغ له هو للإكثار من رواية الشعر، والتوسُّع في معرفة فنونه أنه أراد أن يكون فيه رأياً ويُصدر فيه حكماً فإن من حَقِّ الآخرين أن يفعلوا ذلك أيضاً وأن يكون لهم حُكْمٌ على الشعر قد يتفق أو لا يتفق مع رأيه. وربما لم يسبق أن حوكم الشعر مثل هذه المحاكمة ولا سيَّما أن هذه الأنواع التي حرَّم ابن حزم روايتها كان حسان بن ثابت يرويها على مَسْمَعٍ من رسول الله ﷺ فلا ينهأ، وكثير من هذا التراث الشعري ظلَّ يُروى في صدر الإسلام وفي عهد الأمويين والعباسيين وما تلا ذلك وحتى عصرنا الحاضر فقد ظلَّ باقياً محفوظاً، منه ما شُرح ومنه ما دُرِسَ ومنه ما أُلِّفَتْ فيه المؤلفات، وليس هذا فحسب، بل إن كثيراً من هذا الشعر كان شواهد لا بُدَّ منها لفهم القرآن والسُنَّة، وإذا كان ابن حزم لا يعتبر لغة العرب بل لغة القرآن فإن كثيراً من العلماء والفقهاء يُعوِّلون كثيراً على لغة العرب، وهم يفيدون من ذلك الشعر العربي في زيادة الفهم للشرعية واستنباط الأحكام. وربما يرجع السبب في هذه النظرة تجاه الشعر من ابن حزم إلى مذهبه الظاهري الذي ترك بصماته على معظم آرائه وأحكامه.

وحين عاد ابن حزم إلى قرطبة وكان قد فقد حُبَّه السابق بعد ما تغيَّر حال محبوبته، ونُعيَ إليه أعزُّ أصدقائه ومنهم صديقه ابن الطيني، وابو عمرو القاسم بن يحيى، وكان بينه وبين ابن حزم مودةً صادقةً فقال ابن حزم قصيدته يرثيه فيها، ومنها:

لئن سترتك بطون اللحد	فوجدي بعدك تلا يستتر
قصدت ديارك قصد المشو	قر وللدهر فينا كُرور وفر
فألفيتها منك قفراً خلاء	فأسكبت عيني عليك العبر

فعلى الرُّغم من ضَعْفِ الأدب وتراجع مكانة الشعر لما حلَّ بقرطبة في تلك الفتنة ومغادرة كبار الأدباء ونزوح فحول الشعراء، فقد قُبِّضَ لابن حزم عددٌ قليلٌ منهم وجَدَّ فيهم ما يُعوِّض ما كان يشعر به من قَبْلِ نحو الأدب عامةً والشعر خاصةً يقول

الدكتور محمد طه الحاجري: «..... ومع ذلك فقد كانت لا تزال هناك بقية من الشعراء المُخلِّقِينَ الذين عَرَفَتْهُمْ هذه المدينة في عهدها الماضي المزدهر، كأبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، هذا الذي يَعْتَصِمُ بروحه الساخرة، وكأبي حفص بن بُرد الأصغر؛ وأبي بكر عبادة بن ماء السماء، وهم الذين احتفظوا لهذه المدينة بشيء من سُمعتها الأدبية، وأبقوا على بعض ما كان لها في عالم الشعر والأدب الرفيع من منزلة عالية»<sup>(١)</sup>.

وليس بخاف على مَنْ يُمعِنُ النظر في آثار ابن حزم الأدبية أنه عَرَفَ بنثره أكثر مما عَرَفَ بشعره، ولا سيما رسالة «طوق الحمامة» و «في مداواة النفوس». فإذا كان هذا النثر يتَّسِمُ بالسهولة والبعد عن التعقيد سواءً في ألفاظه وتراكيبه، أو عدم تكلف المُحَسِّنَات والصور، وانطلاقه فيه على سجيته، فإن الشعر إذا اتَّصف بهذه الصفات يهبط مُستواء في الصياغة لأن الشعر ينبغي أن يتميز عن النثر في انتقاء ألفاظه، وجموح الخيال فيه وروعة التصوير وغير ذلك مما يُعدُّ من لوازم الشعر. ويُمكننا القول: ويغلبُ على شعر ابن حزم النظم فهو أقرب إلى النظم التاريخي أو الفقهي أو غير ذلك من أنواع النظم، منه إلى الشعر الفني الحقيقي، فإن حزم كان في الواقع وعاءً مُتَّسِعاً لأنواع كثيرة من العلوم أثرت في شعره ولونته، فهو لا يُعطي الشعر ما يَسْتَحَقُّه. والشعر يأتي متأخراً في المرتبة عن باقي العلوم عنده، ينضاف إلى ذلك تلك القيود الصارمة التي وضعها على الشعر. وابن حزم قال الشعر في سنٍّ مُبَكِّرة، غير أنه لم يُعطِ نفسه مهلةً فيه، وإنما كان يقوله على البديهة. وقد طرق موضوعات مُتنوعة وقال في معظم أغراض الشعر كالغزل، والرثاء، وكان يَسْتَجِيب لأصدقائه حين يدعونه لكتابة شعر يُعبِّرُ عن أحوالهم العاطفية، واستجاب لبعض النساء اللواتي طَلَبْنَ منه مثل ذلك، وكان يقول الشعر في أي وقت وفي أي مكان، وقد يقوله في النوم فضلاً عن اليقظة. وكان تركيزه فيه على المعنى على حساب اللفظ، وهو في هذا يناقض ظاهريته التي تقضي بأخذ المعنى الظاهر القريب دونما غوص في الأعماق.

وإذا كان قد غلب على شعر ابن حزم التأثر بالمصطلحات الفقهية والأصولية

(١) ابن حزم الأندلسي صورة أندلسية: ١١١، ١١٢.

المنطقية واستخدام أسلوب الجدل والحوار والمحاجة العقلية والفلسفية، فإننا لا نستطيع أن نَعْمَمَ ذلك على جميع شعره، فَمِنْهُ ما هو رقيقٌ جداً وخاصةً ما قاله في الشوق والغزل. ولقد اهتمُّ بالزُّهد وأكثرَ منه ويبدو أن ذلك كان في وقت متأخر بعد كتابة «الطوق». وعلى العموم فشعره يتَّسمُ بصعوبة التراكيب. وحين يُدافع عن مذهب أو يُهاجم نحلة أو ملَّةً شعراً فإنَّ الشَّعر يتحوَّلُ إذ ذاك إلى نظم لا نشتمُّ فيه للشَّعرية أي رائحة. ومما قاله بأسلوب الوعظ يدعو فيه إلى التزام العفاف في الحب:

فخابَتْ نُفوسٌ قادَها لهوُ ساعةٍ	إلى حرِّ نارٍ ليس يُطفئُ أوارُها
لها سائقٌ حادٍ حثيثٌ مُبادِرٌ	إلى غير ما أضحى إليه مدارُها
أُسرعةً فيما يسوءُ قيامُها	وقد أيقنوا أن العذابَ قُصارُها
تُعطلُ مفروضاً وتُعنى بفضلةٍ	لقد شَفَّها طغيانُها واغترارُها
إلى ما لها منه البلاءُ سُكونُها	وعما لها منه النجاحُ نِفارُها
وتُعرضُ عن ربِّ دعاها لِرشدِها	وتتبعُ دنيا جَدًّا <sup>(١)</sup> عنها فرارُها
فيا أيُّها المغرورُ بادرُ برَجعةٍ	فلله دارٌ ليس تُخمدُ نارُها
ولا تتخيرُ فانياً دونَ خالِبٍ	دليلٌ على محضِ العقولِ اختيارُها <sup>(٢)</sup>

وَيُبيِّنُ ابنُ حزم أن استقامته وابتعاده عن المعاصي، وعدم وقوعه في حبائل النساء أو ارتكابه لما يلحقُ به العار إنما يعود إلى تلك الرقابة التي كانت تُحيط به في قصر أبيه، ثم إلى حُسْنِ تربيته بعد البلوغ على يد علماء أجلاء، ومُرَبِّين أفاضل، وتأثُّره بعدد من الزُّهاد منهم<sup>(٣)</sup>. فكان يتَّخذُ الاحتياطات مخافة أن يقع في شرك الشيطان؛ كما فعل حين منع نفسه من العودة مرةً أخرى لدخولِ دارٍ كان قد رأى فيها فتاةً رائعةً الحُسْنِ فخشي أن يتعلَّقَ بها إذا هو كرَّرَ الزيارة. وقال في ذلك شعراً:

(١) جَدٌّ يَجِدُ وَيَجِدُ وَأَجْدُوا: العَجَلَة، والمقصود هنا سرعة الفرار (انظر القاموس المحيط: مادة: جَدٌّ).

(٢) انظر رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ٣٠٣.

(٣) انظر المصدر نفسه: ٢٧٣.

وَدَعِ التَّعَرُّضَ لِلْمَحَنِ  
وَالْعَيْنُ بَابٌ لِلْفِتَنِ<sup>(١)</sup>

لَا تُتَّبِعِ النَّفْسَ الْهَوَى  
إِبْلِيسُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ

وفي بعض الأحيان نرى ابن حزم ينطلق على سجيته يقول الشعر لا يتقيد بما وضعه من شروط للشعر، معللاً ذلك بأن مذهب الشعر يقتضي مثل هذا، ويستشهد بقوله تعالى من سورة الشعراء: «ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون»<sup>(٢)</sup>، وفي مثل هذا النوع من الشعر يقول:

خَلُّ هَذَا وَبَادِرِ الدَّهْرَ وَارْحَلْ	فِي رِيَاضِ الرَّبِيِّ مَطْيُ الْقِفَارِ
وَاحِدُهَا بِالْبَدِيعِ مِنْ نَفَمَاتِ الدَّ	عَوْدٍ كَيْمَا تُحَثُّ بِالْمَزْمَارِ
إِنْ خَيْرًا مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى الدَّاءِ	رِ وَقُوفِ الْبَنَانِ بِالْأَوْتَارِ
وَبَدَا النُّرْجَسُ الْبَدِيعُ كَمَصَبٍ	حَائِرِ الطَّرْفِ مَائِلًا كَالْمَدَارِ
لَوْثُهُ لَوْنُ عَاشِقٍ مُسْتَهَامٍ	وَهُوَ لَا شَكَّ هَائِمٌ بِالْبَهَارِ <sup>(٣)</sup>

ويبدو أن ابن حزم لم يكن يعطي نفسه مهلة للإعداد للشعر، بل كان يرتجله ارتجالاً على البديهة، فلا يتحين الوقت المناسب كما حدث حين أنشد بيتين من الشعر وكرر انشادهما عدة مرات في مجلس كثر فيه الغمز المشبوه والخلوة أحياناً فحاول تنبيه صاحب المنزل بذلك التكرار وفيهما يقول:

إِنْ إِخْوَانَهُ الْمُقِيمِينَ بِالْأَمْسِ	أَتَوْا لِلزَّانِمِ لَا لِلْغَنَامِ
قَطَعُوا أَمْرَهُمْ وَأَنْتَ حِمَارٌ	مُوقِرٌ مِنْ بِلَادَةِ وَغَبَاءِ

وَلَمْ يَعْيدْ إِنْشَادَهُمَا إِلَى أَنْ طَلَبَ مِنْهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلِ أَنْ يَكْفَ عَنْ إِنْشَادِهِمَا أَوْ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِهِمَا<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر المصدر نفسه: ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٢) سورة الشعراء: الآية: ٢٢٥ .

(٣) انظر رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ٢٥٥ .

(٤) انظر المصدر نفسه: ٧٧ ، ٧٨ .

والمرأة تتوسل لتحقيق الحب بشئى الذرائع، وأنها أقدر على الإسعاد من الرجال<sup>(١)</sup> لكن تصبح عنيفة وشرسة إذا تيقنت من الغدر بها، أو أن أشياء نجح في وشايتها لديها، فيمكن أن تقدم عندها على القتل بالسُّم أو بغيره فيقول ابن حزم في ذلك شعراً:

وَهَلْ يَأْمَنُ النُّسَوَانُ غَيْرُ مُغْفَلٍ      جَهْلٌ بِأَسْبَابِ الرَّدَى مُتَأَرِّضٌ<sup>(٢)</sup>  
وَكَمْ وَارِدٍ حَوْضاً مِنَ الْمَوْتِ أَسْوَدٍ      تَرَشُّفُهُ مِنْ طَيِّبِ الطَّعْمِ أُبَيْضٌ<sup>(٣)</sup>

وربما كان اقتصار ابن حزم على شعره هو يورده في «طوق الحمامة» دون شعر غيره متلائماً مع رغبته في إبراز إبداعه الذاتي لنفوره من التقليد كما لا يمكننا الجزم بأن ضرب ابن حزم صفحاً عن أشعار غيره كان نوعاً من الإعجاب بنفسه، ولا أحسب رجلاً في مرتبة ابن حزم العلمية يُضيره أن يدعي العلم بالشعر أو فنونه، وهو حقاً عالمٌ بها، ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن ابن حزم عدُّ العُجَبِ مَرَضاً ينبغي معالجته، وتكلم عليه في رسالة «في مداواة النفوس» بما فيه الكفاية. فنسبة شعره إليه هو من باب نسبة الشيء إلى صاحبه وهذا حقٌ له. وعلى كلٍّ فالامر اجتهادي وقد تتباين فيه آراء الدارسين والباحثين<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الدكتور مصطفى عبد الواحد أن المواضع التي استشهد فيها ابن حزم بشعر غيره لا تزيد على خمسة مواضع<sup>(٥)</sup>. وكان ابن حزم قد اعترف بأسبقية الشعراء الماضين وفضلهم<sup>(٦)</sup>، وهي كلمة حق يقولها عالمٌ مُنصفٌ لا يغمطُ الناس حقهم ولا يدعي أنه بزهم أو بلغ درجتهم لعلو كعبهم وطول باعهم في ميادين

(١) انظر المصدر نفسه - مقدمة الطرق: ٧٣.

(٢) متأرض: من التارض أي التاقل إلى الأرض (انظر القاموس المحيط: مادة أَرْض).

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ١٧٢.

(٤) انظر دراسة الحب في الأدب العربي ج ٢: ٢٧٦، ٢٧٧ - ٢٧٩.

(٥) انظر المصدر نفسه: ٢٧٩ - ٢٨١.

(٦) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ٢٢٤.

الشُّعر. وشعر ابن حزم يصدر عن عقله غالباً، وتتدخل فيه المصطلحات العلمية، مما يُضفي عليه نوعاً من الجفاف أو البرود العاطفي، ويجعله أقرب إلى النثر منه إلى الشعر، ومن شعره المتأثر بالدين والفقه قوله:

كَذَبَ الْمُدَّعِي هَوَى اثْنَيْنِ حَتْمًا لَيْسَ فِي الْقَلْبِ مَوْضِعٌ لِحَبِيبٍ فَكَمَا الْعَقْلُ وَاحِدٌ لَيْسَ يَدْرِي فَكَذَا الْقَلْبُ وَاحِدٌ لَيْسَ يَهْوِي هُوَ فِي شَرَعَةِ الْمَوَدَّةِ ذُو شُـ وَكَذَا الدِّينُ وَاحِدٌ مُسْتَقِيمٌ	مِثْلَمَا فِي الْأُصُولِ أَكْذَبَ سَانِي بَيْنَ وَلَا أَحْدَثُ الْأُمُورِ بَثَانِ خَالِقًا غَيْرَ وَاحِدٍ رَحْمَانِ غَيْرَ فَرْدٍ مُبَاعِدٍ أَوْ مُدَانِ لِئُبْعِيدٍ عَنْ صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَكَفُورٍ مَنْ عِنْدَهُ دِينَانِ <sup>(١)</sup>
---	--

ومن شعره المتأثر بالقصص القرآني قوله:

لَئِنْ أَصْبَحْتُ مُرْتَحِلًا بِجَسْمِي وَلَكِنْ لِلْعِيَانِ لَطِيفٌ مَعْنَى	فَرُوحِي عِنْدَكُمْ أَبَدًا مُقِيمٌ لِذَا سَأَلَ الْمَعَايِنَةَ الْكَلِيمُ
---	---

وله في المعنى:

يَقُولُ أَخِي شَجَاكَ رَحِيلُ جَسْمٍ فَقُلْتُ لَهُ الْمُعَايِنُ مُطْمَئِنُّ	وَرُوحُكَ مَالَهُ عَنَّا رَحِيلُ لِذَا طَلَبَ الْمَعَايِنَةَ الْخَلِيلُ <sup>(٢)</sup>
--	---

وهذا الشعر يُشير إلى حادثتين في القرآن:

الأولى: طلب موسى عليه السلام رؤية الله - تبارك وتعالى - حين أورد القرآن ذلك على لسانه بقول الله - سبحانه - : «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظِرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ١٢٧.

(٢) الفصل - المجلد الأول - ج ١: صفحة العنوان.

تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

والثانية: هي طلب إبراهيم الخليل - عليه السلام - من الله أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي المَوْتَى، وأورد القرآن ذلك قاصداً على لسانه بقول الله - تعالى -: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ: أُولَئِكَ ثُبُورٌ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»<sup>(٢)</sup>. والغريب هنا أَنَّ ابن حزم يُعَلِّلُ مع أَنَّهُ يرفض التعليل في ظاهريته فهو هنا في هذا الشعر يذكر أَنَّ المعاني مطمئن فقد سأل الخليل رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي المَوْتَى، وَلَئِنْ للمعاني معنى لطيفاً، فقد سأل موسى رَبَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وهذان الأمران لا نعلم لِحَقِّقَهُمَا كَيْفِيَّةً مُعَيَّنَةً، فهما من عالم الغيب، ولا أدري كيف سمح ابن حزم لنفسه هنا أَنْ يقيسَ رُؤْيَا الحبيب لحبيبه وهما من البشر المخلوقين على الرُؤْيَا لله - عزَّ وجلَّ - وهو من رفض قياس الشاهد على الغائب في ظاهريته كذلك، فابن حزم هنا يتجاوز الأساسيات التي وضعها - ولكن ربُّما يشفع له رُؤْيَا رُؤْيَا أَنَّهُ للشعر مذهباً خاصاً وَأَنَّ الشعراء يقولون ما لا يفعلون، وهم بما تُملِيه طبيعة الشعر عليهم - في كُلِّ وادٍ يَهيمون.

ومن شعره الحافل بالحكمة قوله:

وأصْرَفُ نَفْسِي عَنْ وَجْهِهِ طَبَاعِهَا	إِذَا فِي سِوَاهَا صَنَعَ مَا أَنَا رَاغِبٌ
كَمَا نَسَخَ اللَّهُ الشَّرَائِعَ قَبْلَنَا	بِمَا هُوَ أَدْنَى لِلصَّلَاحِ وَأَقْرَبُ
كَمَا صَارَ لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنَهُ إِذْ نَابَهُ	وَفِي الْأَصْلِ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضٌ مُعْجَبٌ <sup>(٣)</sup>

ومن شعره الذي تردُّ فيه مُصْطَلَحَاتُ من علم الكلام، وكلمات أخرى تردُّ عند بعض الفرق كالشيعة، أخرى تستخدم في الجدل قوله:

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٤٣.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٦٠.

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي ج: ١، ١٩٢.



هَجَرْتُ مَنْ أَهْوَاهُ لَا عَنْ قَلِي<sup>(١)</sup>  
لَكِنْ عَيْنِي لَمْ تُطِقْ نَظْرَةً  
فَالْمَوْتُ أَحْلَى طَعْمًا مِنْ هَوَى  
وَفِي الْفَوَادِ النَّارُ مَذَكِيَّةٌ  
وَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ فِي دِينِهِ  
وَقَدْ أَحَلَّ الْكُفْرَ خَوْفَ الرَّدَى

يَا عَجَبًا لِلْعَاشِقِ الْهَاجِرِ  
إِلَى مُحْيَا الرِّشَا<sup>(٢)</sup> الْغَادِرِ  
يُبَاحُ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ  
فَاعَجَبٌ لِنَسَبِ جَزَعِ صَابِرِ  
تَقِيَّةُ الْمَأْسُورِ لِلْأَسِيرِ  
حَتَّى تَرَى الْمُؤْمِنَ كَالْكَافِرِ<sup>(٣)</sup>

وإن كانت ثلاثة الأبيات الأولى أقرب إلى الشعر منها إلى النظم، وأما ما جاء بعدها فهو نظم لا شعر، ومما ظهر فيه أثر المصطلحات كذلك قوله:

فأثرت أن يبقى ودأد ويمتحي مداد فإن الفرع للأصل تابع<sup>(٤)</sup>

فالأصل والفرع من المصطلحات الفقهية يستخدمها هنا في الشعر.  
وقوله:

فهم أبدأ في اختلاج الشكوك بظن كقطع وقطع كظن<sup>(٥)</sup>

والظن والقطع كلمات تستخدم في الحاجة العقلية والفقهية والفلسفية، وفي أثناء مرض ابن شهيد بالفالج توجه بقطعة شعرية إلى صديقه ابن حزم يقول فيها:  
ولما رأيت العيش ولئ برأسه وأيقنت أن الموت لا شك لاحقي  
تمنيت أني ساكن في غيابة بأعلى مهب الريح في رأس شاهق

(١) قلى: بغضاً وكرامية شديدة. (انظر القاموس المحيط مادة: قلى).

(٢) الرشأ: الظبي إذا قوي ومشى مع أمه. (انظر القاموس المحيط مادة: رشأ).

(٣) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ٢٠١.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٦، ١٤٧.

وحيداً وحسي الماء ثني المفايق  
فقد ذقتها خمسين<sup>(١)</sup> بقولة صادق  
قديماً من الدنيا بلمحة بسارق  
يداً في ملماتي وعند مضايقي  
وحسبك زاداً من حبيب مفارق  
وتذكاري أيامي وفضل خلائقي  
فلا تمنعونيها علالة زاهق  
ذنوبي به مما درى من حقائقي

أدر سقيط الحب في فضل عيشة  
خليلي من ذاق المنية مرة  
كأني وقد حان ارتحالي لم أفسر  
فمن مبلغ عني ابن حزم وكان لي  
عليك سلام الله إنني مفارق  
فلا تنس تأبينني إذا ما فقدتني  
فلي في انكاري بعد موتي راحة  
وإنني لأرجو الله فيما تقدمت

فكتب ابن حزم إليه أبياتاً يردُّ بها فيقول:

يفديك من دهم الخطوب الطوارق  
بودك موصول العرى والوثائق  
فلا تأس إن الدهر جَم المضايق  
ومنطلق والدهر أسوق سائق  
وضاق بهم رَحْبُ الفلا<sup>(٢)</sup> المتضايق  
فمن أعظم النعمى بقاء المصادق<sup>(٣)</sup>

أبا عامر ناديت خلا مصافياً  
وألفت قلباً مخلصاً لك ممحضاً  
شدائد يجلوها الإله بلطفه  
ورب أسير في يد الدهر مطلق  
سفينة نوح لم تضيق بحلولها  
فإن تنج قلت الحمد لله، مخلصاً

ويبدو أن ابن حزم لم يستطع مجازاة كبار شعراء عصره، وظل متأخراً عنهم في مستوى الصياغة الشعرية لتركيزه على العقل وتوجيه جل اهتمامه نحو العلوم الدينية فيقول:

واعقد حبال وصالنا يا ظالم  
كرهاً كما قال الفقيه العالم<sup>(٤)</sup>

دع عنك نقض مودتي متعمداً  
ولترجعن أردته أو لم ترد

(١) الفلا: الأرض لا نبات فيها. (انظر القاموس المحيط: مادة فل).

(٢) الأخيرة. القسم الأول- المجلد الأول: ٣٢٠.

(٣) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١- الطوق: ١٩٧.

ومِمَّا هو جديرٌ بالذكر أنْ نِسْبَةً قليلةً من شعير ابن حزم تُصدرُ عن عاطِفَةٍ وخاصَّةً ذلك الشُّوع الذي يصدرُ فيه عن تجربة خاصَّة أو ذلك الذي يتعلَّق بالأُمور الدينيَّة ويذكر فيه ضرورة التوبة، وضرورة ضبط الهوى بشرع الله فيقول في ذلك:

أَقْصِرْ عَنِ لَهْوِهِ وَعَنْ طَرَبِهِ	وَعَفْ فِي حُبِّهِ وَفِي عُرْبِهِ <sup>(١)</sup>
فَلَيْسَ شَرْبُ الْمُدَامِ <sup>(٢)</sup> هِمَّتَهُ	وَلَا اقْتِنَاصُ الظُّبَاءِ مِنْ أَرْبِهِ
قَدْ أَنْ لِلْقَلْبِ أَنْ يَفِيقَ وَأَنْ	يُزِيلَ مَا قَدْ عَلَاهُ مِنْ حُجْبِهِ
أَلْهَاهُ عَمَّا عَهْدَتْ يُعْجِبُهُ	خَيْفَةُ يَوْمٍ تُبْلَى السُّرَّائِرُ بِهِ
يَا نَفْسُ جَدِّي وَشَمْرِي وَدَّعِي	عَنْكَ اتَّبَاعَ الْهَوَى عَلَى لُغْبِهِ
وَسَارِعِي فِي النِّجَاةِ وَاجْتَهِدِي	سَاعِيَةً فِي الْخَلَاصِ مِنْ كُرْبِهِ
عَلِّيَ أَحْظَى بِالْفُوزِ فِيهِ وَأَنْ	أَنْجُو مِنْ ضَيْقِهِ وَمِنْ لَهْبِهِ
يَا أَيُّهَا اللَّاعِبُ الْمُجْدُّ بِهِ الدُّ	هُرُ أَمَا تَتَّقِي شَبَابَ نَكْبِهِ
كَفَاكَ مِنْ كُلِّ مَا وَعِظْتُ بِهِ	مَا قَدْ أَرَاكَ الزَّمَانُ مِنْ عَجْبِهِ <sup>(٣)</sup>

وَمِنَ الشُّعْرِ الْجَيِّدِ لابن حزم الذي تَمَكَّنَ فِيهِ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ تَأْثِيرِ الْمِصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالرُّوحِ الْجَدَلِيَّةِ وَيَنْسَاقَ فِيهِ مَعَ عَاطِفَتِهِ.  
قوله :

هَلْ لِقَتِيلِ الْحُبِّ مِنْ وَادٍ <sup>(٤)</sup>	أَمْ هَلْ لِعَانِيِ الْحُبِّ مِنْ فَادٍ <sup>(٥)</sup>
أَمْ هَلْ لِدَهْرِي عَوْدَةٌ نَحْوَهَا	كَمِثْلِ يَوْمِ مَرٍّ فِي الْوَادِي
ظَلَلْتُ فِيهِ سَابِحاً صَادِياً	يَا عَجَباً لِلْسَّابِحِ الصَّادِي

(١) الْعُرْبُ: جمع عروب؛ وهي المتحبيبة أو العاشقة (انظر القاموس المحيط: مادة عرب).

(٢) الْمُدَام: الخمر. (انظر القاموس المحيط: مادة دام).

(٣) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١ - الطوق: ٣٠١.

(٤) وردت وادي في الاصل (انظر رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ١٩٠).

(٥) وردت فادي في الاصل، وتبقى هنا مكسورة فقط بعد حذف الياء لضرورة القافية (انظر رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ١٩٠).

تُبَصِّرُنِي الْحَاظُ عُوَادِي  
عَنِ أَعْيُنِ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي  
يَرْحَمُنِي لِلْسُقْمِ حَسَادِي<sup>(١)</sup>

ضَنْيْتُ يَا مَوْلَايَ وَجَدْتُ فَمَا  
كَيْفَ اهْتَدَى الْوَجْدُ إِلَى غَائِبِ  
مَلِّ مُدَاوَاتِي طَبِيبِي فَقَدْ

وكان ابن حزم يفخر بقدرته على ايراد عدة تشابيه في بيت واحد، غير أن تلك التشابيه كانت جزئية معظمها يعتمد على التجريد العقلي، ومع ذلك فهو يدعي أن هذه المقدرة لديه لا يستطيعها غيره، ولا سيما حين أورد خمسة تشبيهات في بيت واحد حين قال:

خَلَوْتُ بِهَا وَالرَّاحُ<sup>(٢)</sup> ثَالِثَةٌ لَنَا      وَجَنَحُ ظِلَامِ اللَّيْلِ مَذْمُومٌ مَا انْبَلَجُ<sup>(٣)</sup>  
فَتَاةٌ عَدِمْتُ الْعَيْشَ إِلَّا بِقُرْبِهَا      فَهَلْ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ وَيَحْكُ مِنْ حَرَجِ  
كَأَنِّي وَهْيٌ وَالْكَأْسُ وَالْخَمْرُ وَالْدُّجَى      ثَرَى وَحْيًا وَالْدُّرُّ وَالْتَبَرُّ وَالسَّنَجُ<sup>(٤)</sup>

وأما في مجال النقد فقد انحصر نقد ابن حزم في أمور بلاغية، وصَبَّ اهتمامه على الصور اللفظية، كما وجَّه نقداً لأولئك الذين لا يتمكّنون من ايراد عدة تشبيهات في بيت واحد كما فعل هو. كما أنه لا يريد للشعر أن يكون مُجَنِّحاً في الخيال، بل يريده مطابقاً للواقع، وَيَهْمُهُ العمق في المعنى ويذهب بعيداً فيه بحيث يحتاج إلى أعمال الذهن كثيراً؛ فهو حين يتحدث عن القنوع وأقوال الشعراء فيه يقول: «وللشُعراء فن من القنوع أرادوا فيه إظهار غرضهم، وإبانة اقتدارهم على المعاني الغامضة والمرامي البعيدة، وكلُّ قال على قدر قوة طبعه، إلا أنه تحكّم باللسان وتشدّق في الكلام واستطالة بالبيان وهو غير صحيح في الأصل، فَمِنْهُمْ مَنْ قَنَعَ بِأَنَّ السَّمَاءَ تَظَلُّهُ هو ومحبوبه والأرض تُقْلَهُما، ومنهم من قنع باستوانهما في إحاطة الليل والنَّهَارَ بهما، وأشباه هذا، وكلُّ مُبَادِرٍ إلى احتواء

(١) انظر رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ١٩٠.

(٢) الراح: الخمر. (انظر القاموس المحيط: مادة: راح).

(٣) انبلج: أضاء وأشرق. (انظر القاموس المحيط: مادة: بَلَج).

(٤) السَّنَج: العنّاب. (انظر القاموس المحيط: مادة: سَنَج). وانظر الأبيات في رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ١٠٩، ١١٠.

الغاية في الاستقصاء وإحراز قصب السبق في التدقيق، ولي في هذا المعنى قول لا يُمكن لِمُتَعَقِّبٍ أَنْ يَجِدَ بَعْدَهُ مَتَنَاوِلًا، ولا وراءَهُ مَكَانًا، مَعَ تَبْيِينِي عِلَّةَ قَرَبِ المسافة البعيدة وهو:

قالوا بعيدُ قلتُ حسبني بَأْتُهُ	معي في زَمَانٍ لا يُطِيقُ مَحِيدَا
تَمَرُّ عَلَيَّ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرُوحَا	بِهِ كُلُّ يَوْمٍ يَسْتَنِيرُ جَدِيدَا
مَنْ لَيْسَ بَيْنِي فِي الْمَسِيرِ وَبَيْنَهُ	سِوَى قَطْعِ يَوْمٍ هَلْ يَكُونُ بَعِيدَا
وَعِلْمُ إِلَهِ الْخَلْقِ يَجْمَعُنَا مَعًا	كفى ذا التَّدَانِي لا أريدُ مَزِيدَا

..... ثُمَّ بَيَّنْتُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ فِي أَقْصَى الْمَعْمُورِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَأَنَا فِي أَقْصَى الْمَعْمُورِ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَهَذَا طَوْلُ السُّكْنَى، فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مَسَافَةٌ يَوْمٍ، إِذِ الشَّمْسُ تَبْدُو فِي أَوَّلِ النَّهَارِ فِي أَوَّلِ الْمَشَارِقِ وَتَغْرُبُ فِي آخِرِ النَّهَارِ فِي آخِرِ الْمَغَارِبِ»<sup>(١)</sup>.

وابن حزم كان يملك أدوات النقد المعروفة في عصره، لِسَعَةِ اطِّلاعه وتحرُّيه العدل في أحكامه، ولكن كان يَمْنَعُهُ من الارتقاء فيه عالياً أمران: رَأْيُهُ فِي الشُّعْرِ بِشَكْلِ عام، واشتغاله بالعلوم الأخرى وتركيز ناحية الاهتمام عليها ممَّا حالَ دون تقدمه في مجال الأدب. هذا ولا ننسى إخضاعه الشُّعْرَ لأحكام الفقه والقواعد الأخرى كما كُنَّا قد ذكرنا ذلك من قبل. ونتيجة لهذا وربما لغيره أيضاً فإنَّه لم يعمل على إيجاد مذهب نقدي، فكان يتلقَّى النظرات النقدية بسرعة دون تمهُّل أو تمحيص، مثلاً تركيزه على كثرة التشبيهات في البيت الواحد.

والشُّعْرُ عند ابن حزم صناعةٌ وطَبْعٌ وبراعة. فالصناعة هي التأليف الجامع للاستعارة بالأشياء والتحليق على المعاني والكتابة عنها، ورَبُّ هذا الباب من الْمُتَقَدِّمِينَ زهير بن أبي سُلمى ومن المُحَدِّثِينَ حبيب بن أوس. والطَّبْعُ هو ما لم يقع فيه تكلفٌ وكان لفظه عامياً لافضل فيه عن معناه حتى لو أردت التعبير عن ذلك المعنى بمنثور لم تأتِ بأوجز ولا أسهل من ذلك اللفظ، ورَبُّ هذا الباب من الْمُتَقَدِّمِينَ جرير ومن المُحَدِّثِينَ الحَسَنَ (بن هاني). والبراعة هي التصرف في دقيق

(١) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ٢٢٨، ٢٢٩.

المعاني وبعيدها، والإكثار فيما لا عهد للناس بالقول فيه، وإصابة التشبيه وتحسين المعنى اللطيف، وربُّ هذا الباب من المتقدمين امرؤ القيس ومن المتأخرين علي<sup>(١)</sup>. وهذا كلام لا نُسَلِّمُ له فيه، فنحن اليوم نخالفه في كثير مما ذكر، وربما كان يخالفه آخرون في بعض ما قال في عصور قريبة من عصره، لكن لا بدُّ من الإشارة إلى أنه في أحكامه تلك كان متأثراً بمقاييس نقد الشعر في عصره مع الأخذ بعين الاعتبار أنه كان مُتَخَلِّفاً عن أدباء عصره ونُقادِهِ لِمَا أوردناه من أسباب سبقته<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان ابن حزم قد نقد الشعر حسب القواعد والمقاييس الدينية فلم يكن وحده هو الذي فعل ذلك، فقد كانت تلك هي سمات البيئة، فسارَ هو على ما كان قد سار عليه غيره. وإن جازَ لنا أن نَعُدَّ ابن حزم أعلم علماء عصره في المجالات العلمية، فإنَّه في مجال النقد ما زاد شيئاً على ما كان قد قاله سابقوه<sup>(٣)</sup>.  
ربُّما كان للفتنة تأثيرٌ سلبيٌّ على شاعريَّة ابن حزم، إذ كان المعروف عنه نَفْسُهُ الطويل في الشعر وسيطرته على زمامه، لكن ديوان شعره لم يَصِلْ إلينا<sup>(٤)</sup>، وقد كتب أ. مصطفى الغديري مقالاً في مجلة «دراسات اندلسية»<sup>(٥)</sup> استدرك فيه على الدكتور صبحي رشاد عبد الكريم في «ديوان شعر» جمعه الأخير ونسبه إلى ابن حزم، وكان قد أخذ أ. مصطفى الغديري على ذلك الديوان المنسوب إلى ابن حزم عدَّة مآخذ منها ردُّه لبعض الأشعار وإنكاره أن تكون لابن حزم، وإضافته

(١) هكذا وردت كلمة (علي) فقط في الأصل، وأرجَّحُ أنَّه قصد نفسه علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم. ولأنَّ هذه الصفات التي

ذكرها في النوع الثالث وهو (البلاغة) تنطبق على رؤيته هو للشعر وتركيزه على المعاني الغامضة وكثرة التشابيه على حساب

اللفظ. (انظر تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة: ١٤٩).

(٢) انظر تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة: ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩.

(٣) انظر دراسات أدبية في الشعر الاندلسي: ٤١، ٤٢.

(٤) قام الدكتور صبحي رشاد عبد الكريم بجمع «ديوان» نسبه إلى ابن حزم (انظر مجلة دراسات اندلسية - العدد

١١-١٤١٤-١٩٩٤، طبع بمطبعة المغربية للطباعة والنشر والاشهار-تونس: ٧١-٧٨).

(٥) المصدر نفسه: ٧١-٧٨ - مقال بعنوان «واستدراكات على ديوان ابن حزم».

أشعاراً أخرى قال: إنها من أشعار ابن حزم ومنها:

مَنْ لَمْ يَرَ الْعِلْمَ أَعْلَى  
فَلَيْسَ يَفْلَحُ حَتَّى  
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ  
يُحْتَسَى عَلَيْهِ التُّرَابُ<sup>(١)</sup>

ومنها :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيَّ بِسَلْوَةٍ  
أَثَارَ الْهَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ غُرُوبُهَا<sup>(٢)</sup>

ومنها:

سَلَامٌ عَلَى دَارِ رَحَلْنَا وَغَوْدِرَتْ  
تَرَاهَا كَأَنَّ لَمْ تَغْنُ بِالْأَمْسِ بَلَقَعَا  
فِيهَا دَارُ لَمْ يَقْفِرْكَ مِنَّا اخْتِيَارُنَا  
وَلَكِنْ أَقْدَارُ مَنْ اللَّهُ أَنْفَذَتْ  
وَيَا خَيْرَ دَارٍ قَدْ تَرَكْتَ حَمِيدَةً  
وَيَا مُجْتَلِي تِلْكَ الْبَسَاتِينَ حَفَّهَا  
وَيَا دَهْرُ بَلَّغْ سَاكِنِيهَا تَحِيَّتِي  
فَصَبْرًا لِسَطْوِ الدَّهْرِ فِيهِمْ وَحُكْمِهِ  
لَنْتُنْ كَانَ أَظْمَانًا فَقَدْ طَالَ مَا سَقَى  
وَأَيْتَهَا الدَّارُ الْحَبِيبَةُ لَا يَرِمُ  
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ غَيْدُ أَوَانِسُ  
تَفَانُوا وَبَادُوا وَاسْتَمَرَّتْ نَوَاهُمُ  
سَنَنْصَبُ بَعْدَ الْيُسْرِ لِلْعُسْرِ طَاعَةً  
وَأِنِّي وَلَوْ عَادَتْ وَعَدْنَا لِعَهْدِنَا  
وَيَا دَهْرُنَا فِيهَا مَتَى أَنْتَ عَائِدُ  
فِيَا رَبِّ يَوْمَ فِي ذَرَاهَا<sup>(٣)</sup> وَلَيْلَةٍ  
فَوَاجِسْمِي الْمُضْنَى وَوَاقْلَبِي الْمَغْرَى

خَلَاءَ مِنَ الْأَهْلِينَ مُوحِشَةً قَفْرًا  
وَلَا عُمِرَتْ مِنْ أَهْلِهَا قَبْلَنَا دَهْرًا  
وَلَوْ أَنَّنَا نَسْطِيعُ كُنْتُ لَنَا قَبْرًا  
تُدْمِرُنَا طَوْعًا لِمَا حَلَّ أَوْ قَهْرًا  
سَقَتِكَ الْغَوَادِي مَا أَجَلَ وَمَا أَسْرَى  
رِيَاضُ قَوَارِيرٍ غَدَتْ بَعْدَنَا غَبْرًا  
وَلَوْ سَكَنُوا الْمُرُورِينَ أَوْ جَاوَزُوا النَّهْرَ  
وَإِنْ كَانَ طَعْمُ الصَّبْرِ مُسْتَثْقَلًا مُرًا  
وَإِنْ سَاءَنَا فِيهَا فَقَدْ طَالَ مَا سَرَا  
رُبُّوعِكَ جَوْنُ الْمُرْنِ يَهْمِي بِهَا قَطْرًا  
وَصِيدُ رَجَالٍ أَشْبَهُوا الْأَنْجُمُ الزُّهْرَا  
لِمِثْلِهِمْ أَسْكَبْتُ مَقْلَتِي الْعَبْرَى  
لَعَلَّ جَمِيلَ الصَّبْرِ يُعَقِّبُنَا يُسْرَا  
فَكَيْفَ بَمَنْ مِنْ أَهْلِهَا سَكَنَ الْقَبْرَا؟  
فَنَحْمَدُ مِنْكَ الْعَوْدَ إِنْ عُدْتَ وَالْكَرَا  
وَصَلْنَا هُنَاكَ الشَّمْسَ بِاللَّهْوِ وَالْبَدْرَا  
وَوَانْفَسِي الثُّكْلَى وَوَاكْبِدِي الْحَرَا

(١) انظر مجلة دراسات أندلسية - العدد ١١ - ١٤١٤ - ١٩٩٤. طبع بمطبعة المغاربية للطباعة والنشر والاشهار - تونس: ٧٥.

(٢) المصدر نفسه: ٧٥.

(٣) وردت في الاصل ذارها (انظر مجلة دراسات أندلسية - العدد ١١: ٧٦).

ويا هم ما أعدى ويا شجوا ما أبرأ  
ويا دهر لا تبعد، ويا عهد لا تحل  
سأندب ذاك العهد ما قامت الخضرا  
ويا وجد ما أشجى ويا بين ما أفرا  
ويا دمع لا تجمد ويا سقم لا تبرا  
على الناس سقفاً واستقلت بنا الغبرا<sup>(١)</sup>

ومنها قوله في استدعاء أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله:

صنواك في ربعي فتلتئهما  
صلني بلقيسك التي أبتغي  
غيت السواري وأبو بكر  
أهلك بالحمدر وبالشكر<sup>(٢)</sup>

ومنها في التسيب قوله:

لا تلحه في حبه إن بدا  
وأن عصنا أبداً لا تزول  
وقال أيضاً:

من ظل ينبغي فروع العلم  
فكلما ازداد فيه سغياً  
بدا ولم يدر منه أصلاً  
زاد لعمري بذلك جهلاً<sup>(٣)</sup>

كما ذكر الدكتور ممدوح حقي أنه عثر على جزء من ديوان ابن حزم<sup>(٤)</sup> وأنه مخطوط نادر ويرجو أن يوفق إلى نشره، لكننا لم نر ذاك الجزء من الديوان الذي أخبرنا عنه منشوراً. وذكر في مقدمة رسالة حجة الوداع أبياتاً لابن حزم الملح فيها إلى مذهبه الظاهري فهو يقول فيها:

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت  
فقلت: هل عيبهم لي غير أنني لا  
أقولهم. وأقاويل العدى مجن  
أقول بالرائي<sup>(٥)</sup> إذ في رأيهم أفن

(١) انظر مجلة دراسات اندلسية - العدد ١١: ٧٦.

(٢) انظر المصدر نفسه: ٧٧.

(٣) المصدر نفسه: ٧٧.

(٤) المصدر نفسه: ٧٧.

(٥) انظر حجة الوداع - المقدمة - الحاشية: ٢٥.



سِوَاهُ أَنْحَو. وَلَا فِي نُصْرِهِ أَهْنُ  
فِي الدِّينِ. بَلْ حَسْبِيَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَنُ<sup>(١)</sup>

وَأُنْثِي مُؤَلَّعٌ بِالنَّصْرِ، لَسْتُ إِلَى  
لَا أَنْثِي نَحْوَ آرَاءٍ يُقَالُ بِهَا  
كَمَا يَقُولُ أَيْضاً:

أَتَى عَنِ الْمَصْطَفَى فِيهَا مِنَ الدِّينِ  
شَدًّا عُرَا الدِّينِ فِي رَأْيٍ وَتَبْيِينِ  
مِنْ كُلِّ قَوْلٍ أَتَى مِنْ رَأْيٍ سَحْنُونِ  
يَوْمَ الْحَسَابِ وَفِي وَضْعِ الْمَوَازِينِ<sup>(٢)</sup>

أَنَاثُ أَنْتَ عَنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَمَا  
لِمُسْلِمٍ وَالْبُخَارِيِّ الَّذِينَ هُمَا  
أَوَّلَى بِأَجَرٍ وَتَعْظِيمٍ وَمَحْمَدَةَ  
لَا تَقْطَعَنَّ بِي رَبُّ الْعَرْشِ دُونَهُمَا

وَأَحْسَبُ أَنَّ أَهْمَ مَصْدَرٍ لِشِعْرِ ابْنِ حَزْمٍ هُوَ كِتَابُ «طُوقِ الْحَمَامَةِ» وَكُتِبَ  
التَّوَجُّعُ وَمُؤَلَّفَاتُ تَلَامِيذِهِ فِيهَا مَتَفَرِّقَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْكُتُبِ. وَقَدْ جُمِعَتْ  
فِي الْبَابِ الْآخِرِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ مَعْظَمُ أَشْعَارِهِ فَأُورِدْتُ بَعْضُهَا مِنْهَا فِي الْفَصْلِ  
الْأَوَّلِ وَالْبَاقِي أُوْرِدْتُهُ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي. وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمِيدِيُّ أَنَّ دِيواناً مِنَ الشُّعْرِ  
لِاسْتَاذِهِ ابْنِ حَزْمٍ قَامَ هُوَ بِجُمْعِهِ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ<sup>(٣)</sup> لَكِنْ هَذَا الدِّيانُ لَمْ يَعْثُرْ  
عَلَيْهِ أَحَدٌ حَتَّى الْآنَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ شِعْرِ ابْنِ حَزْمٍ الْكَثِيرِ إِلَّا الْقَلِيلُ. وَنَرَى ابْنَ حَزْمٍ  
يُشِيرُ فِي شِعْرِهِ إِلَى انْحِيَاظِهِ لِلْمَذْهَبِ الظَّاهِرِيِّ إِذْ يَقُولُ:

كَتَيْبٌ مُعْنَى وَلَكِنْ بِمَنْ  
وَإِنْ فَتُّشُوا رَجُمُوا فِي الظُّنَنِ  
وَإِنْ طَلَبُوا شَرْحَهُ لَمْ يَبْنِ  
نَفْسُ حُبِّهِ عَنْكَ طَيْبَ الْوَسَنِ<sup>(٤)</sup>  
ذَهَابُهُ الْعُقُولِ وَخَوْضُ الْفِتَنِ  
بِظَنِّ كَقَطْعٍ وَقَطْعٍ كَقَطْنِ<sup>(٥)</sup>

دَرَى النَّاسُ أَنِّي فَتَى عَاشِقٍ  
إِذَا عَايَنُوا حَالَتِي أَيْقَنُوا  
كَخَطٍ يُرَى رَسْمُهُ ظَاهِراً  
يَقُولُونَ بِاللَّهِ سَمُّ الَّذِي  
وَهَيْهَاتَ دُونَ الَّذِي حَاوَلُوا  
فَهُمْ أَبَدُاءُ فِي اخْتِلَاجِ الشُّكُوكِ

(١) انظر حجة الوداع - المقدمة - الحاشية : ٢٥.

(٢) المصدر نفسه : ٢٥.

(٣) الجذوة : ٣٠٩، البغية : ٤١٦.

(٤) الوسن : البهاء (انظر القاموس المحيط : مادة : وسن).

(٥) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١ : ١٤٦، ١٤٧.

## الفصل الثاني

نماذج من شعر ابن حزم

## الباب الوابع

### الفصل الثاني

#### نماذج من شعر ابن حزم

يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَعْرُضَ نَمَازِجَ كَافِيَةٍ مِنْ شِعْرِ ابْنِ حَزْمٍ وَبِالْقَدْرِ الَّذِي تَمَكَّنَا مِنْ  
الْحَصُولِ عَلَيْهِ حَتَّى تَتَبَيَّنَ لَنَا صَوْرَتُهُ الْحَقِيقِيَّةُ فِي الْوَاقِعِ بَعْدَ مَا كُنَّا قَدْ أَصْدَرْنَا  
أَحْكَاماً عَلَى عَيِّنَاتٍ قَلِيلَةٍ مِنْ شِعْرِهِ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ.

ولما كان ابن حزم يرى أن العفاف أمرٌ داخل في حدود إرادة الإنسان وهو  
قادرٌ على تحقيقه إذا أَرَادَ، وأنه إن لم يكن عفيفاً فسوف يكون حُبُّهُ مُهِيناً، وإِلَّا فَإِنَّ  
الْحُبَّ غَيْرُ مُحَرَّمٍ فِي الشَّرِيعَةِ وَيُعْبَرُ عَنْ ذَلِكَ بِشِعْرِهِ قَائِلاً:

يَلُومُ رَجَالُ فَيْكَ لَمْ يَعْرِفُوا الْهُوَى	وَسَيَّانَ عِنْدِي فَيْكَ لَاحٍ وَسَاكَتْ
يَقُولُونَ جَافَيْتَ التَّصَاوُنَ جُمْلَةً	وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالشَّرِيعَةِ قَانِتٌ
فَقُلْتَ لَهُمْ هَذَا الرِّيَاءُ يَغِينِيهِ	مُسْرَاحاً وَزِيٌّ لِلْمُرَائِينَ مَا قُنْتُ
مَتَى جَاءَ تَحْرِيمُ الْهُوَى عَنْ مُحَمَّدٍ	وَهَلْ مَنَعُهُ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ ثَابِتٌ؟
إِذَا لَمْ أَوَاقِعْ مُحَرِّمًا أَتَّقِي بِهِ	مَجِيئِي يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْوَجْهَ بَاهِتٌ
فَلَسْتُ أَبَالِي فِي الْهُوَى قَوْلَ لَانِمِ	سَوَاءٌ لِعَمْرِي جَاهِرٌ وَمُخَافِتٌ
وَهَلْ يَلْزَمُ الْإِنْسَانُ إِلَّا اخْتِيَارُهُ	وَهَلْ بَخْبَايَا اللَّفْظِ يُؤْخَذُ صَامِتٌ <sup>(١)</sup>

وانسجماً مع أسلوبه الوعظي نجدُ له شعراً في آخر باب قُبْحِ المعصية ينهى  
فيه عن ترك الحبل على غاربه للنفس في اتباع هواها فيقول:

أَقُولُ لِنَفْسِي مَا مُبِينٌ كَحَالِكِ	وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكِ
صُنِ النَّفْسَ عَمَّا عَابَهَا وَارْفُضِ الْهُوَى	فَإِنَّ الْهُوَى مِفْتَاحُ بَابِ الْمَهَالِكِ
رَأَيْتُ الْهُوَى سَهْلَ الْمَبَادِي لِذِيذِهَا	وَعُقْبَاهُ مَرُّ الطَّعْمِ ضَنْكُ الْمَسَالِكِ
فَمَا لَذَّةُ الْإِنْسَانِ وَالْمَوْتُ بَعْدَهَا	وَلَوْ عَاشَ ضَعْفِي عُمَرُ نُوْحِ بْنِ لَامِكِ
فَلَا تَتَّبِعْ دَاراً قَلِيلاً لِبَاثِهَا	فَقَدْ أُنْذَرْتَنَا بِالْفَنَاءِ الْمَوَاشِكِ
وَمَا تَرْكُهَا إِلَّا إِذَا هِيَ أَمَكْنَتْ	وَكَمْ تَارَكَ إِضْمَارُهُ غَيْرُ تَارِكِ

(١) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: الطوق: ١٤٥.

فما تاركُ الآمالِ عجباً جاذراً  
ومَنْ قابِلُ الأمرِ الذي كانَ راغباً  
لأحرى عبادِ الله بالفُوزِ عندهُ  
ومن عرفَ الأمرَ الذي هو طالبُ  
ومَنْ عَرَفَ الرحمنَ لَمْ يَغْصُ أمرُهُ  
سَبِيلُ الثَّقَى والنُّسْكِ خَيْرُ المسالكِ  
فَمَا فَقَدَ التَّنْغِيصَ مَنْ عَاجَ دُونَهَا  
وطوبى لأقوامٍ يُؤْمِنُونَ نحوَهَا  
لقد فَقَدُوا غِلُّ النُّفُوسِ وَفَضَّلُوا  
فَعَاشُوا كَمَا شَاءُوا وَمَاتُوا كَمَا اشْتَهَوْا  
عَصَوْا طَاعَةَ الأجسادِ فِي كُلِّ لَذَّةٍ  
فَلَوْلَا اغْتِدَاءُ الجِسمِ أَيْقَنْتُ أَنَّهُمْ  
فِيَا رَبِّ قَدَّمَهُمْ وَزِدْ فِي صَلَاحِهِمْ  
وَيَا نَفْسُ جِدِّي لَا تَمْلِي وَشَمَّرِي  
وَأَنْتَ مَتَى دَمَرْتَ سَعْيِكَ فِي الهوى  
فَقَدْ بَيَّنَّ اللهَ الشَّرِيعَةَ لِلورى  
فِيَا نَفْسُ جِدِّي فِي خَلَاصِكَ وَانْفِذِي  
فَلَوْ أَعْمَلَ النَّاسُ التَّفَكُّرَ فِي الَّذِي

كَتَارَكَهَا ذَاتَ الضَّرُوعِ الحَوَاشِيكِ  
بشهوةٍ مُشْتَاقٍ وَعَقْلٍ مِتَارِكٍ  
لَدَى جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ فَوْقَ الْأَرَانِكِ  
رَأَى سَفْهاً مَا فِي يَدِي كُلِّ مَالِكٍ  
وَلَوْ أَنَّهُ يُعْطَى جَمِيعَ المَمَالِكِ  
وَسَالَكُهَا مُسْتَبْصِراً خَيْرُ سَالِكِ  
وَلَا طَابَ عَيْشٌ لَامَرِيءٍ غَيْرِ نَاسِكِ  
بِخَفَةِ أَرْوَاحٍ وَلَيْنِ عِرَاسِكِ  
بِعِزِّ سَلَاطِينٍ وَأَمْنِ صِعَالِكِ  
وَفَازُوا بِدَارِ الْخُلْدِ رَحْبِ الْمَبَارِكِ  
بَنُورِ مُجَلِّ ظُلْمَةِ الْغَيِّ<sup>(١)</sup> هَاتِكِ  
يَعِيشُونَ عَيْشاً مِثْلَ عَيْشِ الْمَلَامِكِ  
وَصَلَّ عَلَيْهِمْ حَيْثُ حَلَّسُوا وَبَارَكِ  
لِنَيْلِ سُرُورِ الدَّهْرِ فِيمَا هُنَاكَ  
عَلِمْتُ بِأَنَّ الْحَقَّ لَيْسَ كَذَلِكَ  
بِأَبْنٍ مِنْ زُهرِ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ  
نَفَازِ السِّيُوفِ الْمُزْهَفَاتِ الْبَوَائِكِ  
لَهُ خَلِقُوا مَا كَانَ حَيُّ بَضَاحِكِ

ومما هو ملحوظ أن شعر ابن حزم في الأمور الدينية وفي الزهد وتقبيح المعصية والترغيب بما عند الله يُعدُّ بشكل عام أقوى مما قاله في أغراض أخرى إلا الغزل الذي قال فيه شعراً يُعبَّرُ عن تجربته الذاتية فذاك فيه حرارة العاطفة وعنصر الصدق مما يجعله أغنى من غيره مما قاله في الأغراض الأخرى. وربما تعود قوة شعره في الأغراض الدينية إلى قوة إيمان ابن حزم نفسه وحرارة الإيمان في نفسه مما يجعله يصدر فيه من حماسة واندفاع. وهناك مقطوعات شعرية تتفاوت أبياتها في درجة شعريتها، فمنها ما هو أقرب إلى الشعر ومنها ما هو أقرب إلى النظم.

(١) الغي: الضلال (انظر القاموس المحيط: مادة: غوى).

يقول ابن حزم في انتظار الزيارة:

أَقَمْتُ إِلَى أَنْ جَاءَنِي اللَّيْلُ رَاجِئاً  
فَأَيَّاسَنِي الْإِظْلَامُ عَنْكَ وَلَمْ أَكُنْ  
وَعِنْدِي دَلِيلٌ لَيْسَ يَكْذِبُ خُبْرُهُ  
لَأَنْتَ لَوْرُمْتَ الزِّيَارَةَ لَمْ يَكُنْ  
لِقَاءَكَ يَا سُوْلِي وَيَا غَايَةَ الْأَمَلِ  
لَأَيَّاسَ يَوْماً أَنْ بَدَا اللَّيْلُ يَتَّصِلُ  
بِأَمثَالِهِ فِي مُشْكَلِ الْأَمْرِ يُسْتَدَلُّ  
ظَلَامٌ وَدَامَ النُّورُ فِينَا وَلَمْ يَزَلْ<sup>(١)</sup>

فالببيتان الأولان الشاعريّة فيهما واضحة وأما الأخيران فنرى فيهما استخدام الأدلّة «لأنّك» فالعقل فيهما له حضور، ولا حضور للعاطفة. كما أنّه حين يشبه يدخل العقل فتخرج صورته تجريديّة فيها التكلّف وعدم الوضوح، ففي وصف طول ليل العاشقين يقول:

كَأَنَّ نُجُومَهُ وَالْغَيْمُ يُخْفِي  
ضَمِيرِي فِي وِدَادِكَ يَا مُنَايَا  
سَنَاهَا عَنْ مُلَاحَظَةِ الْعَيُونِ  
فَلَيْسَ يَبِينُ إِلَّا بِالظُّنُونِ<sup>(٢)</sup>

كما نرى تأثير الفلسفة في شعره حين يتعامل مع المحسوس فيقول:

أَمِنْ عَالَمِ الْأَمْلاكِ أَنْتَ أَمْ أَنْسِيْ  
أَرَى هَيْئَةً إِنْسِيَّةً غَيْرَ أَنَّه  
تَبَارَكَ مَنْ سَوَى مَذَاهِبَ خَلْقِهِ  
وَلَا شَكَّ عِنْدِي أَنَّكَ الرُّوحُ سَاقَهُ  
إِذَا أَعْمَلَ التَّفْكِيرَ فَالْجَرْمُ عَلَوِيْ  
نَقِيسُ عَلَيْهِ غَيْرَ أَنَّكَ مَرْنِيْ  
عَلَى أَنَّكَ النُّورُ الْأَنِيْقُ الطَّبِيعِيْ  
إِلَيْنَا مِثَالٌ فِي النُّفُوسِ اتِّصَالِيْ  
وَلَوْلَا وَقُوعُ الْعَيْنِ فِي الْكَوْنِ لَمْ نَقُلْ  
سَوَى أَنَّكَ الْعَقْلُ الرَّفِيعُ الْحَقِيقِيْ<sup>(٣)</sup>

ونرى كذلك تأثير علم الفلك في شعره إذ يقول:

(١) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ١١٠.

(٢) المصدر نفسه ج ١: ١٠٨.

(٣) العي: العجز عن الاهتداء الى المراد، (انظر القاموس المحيط: مادة: عي).

(٤) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ١٠٠.

أرعى النجوم كأثني كلت أن  
وكأنها والليل نيران الجوى  
وكأنني أمسيت حارس روضة  
لو عاش بطليموس أيقن أنني  
أرعى جميع ثبوتها والخنس<sup>(١)</sup>  
قد أضرمت في فكرتي من حندس<sup>(٢)</sup>  
خضراء وشح نبتتها بالترجس  
أقوى الورى في رصد جري الكنس<sup>(٣)</sup>

والأبيات فيها تشابيه ما عدا البيت الأخير، ويروي عن نفسه في مناسبة لأبيات قالها فيقول: «ولقد ضمّني مجلس مع بعض من كنت أحب فلم أجل خاطري في فن من فنون الوصل، إلا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدي، ولا قاض أقل لبانة من لباناتي، ووجدتني كلما ازددت دنواً ازددت ولوعاً. وقدحت زناد الشوق ونار الوجد بين ضلوعي فقلت في ذلك المجلس:

وددت بأن القلب شق بمدية  
فأصبحت فيه لا تحلين غيره  
تعيشين فيه ما حييت فإن أمت  
وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري  
إلى مقتضى يوم القيامة والحشر  
سكنت شغاف القلب في ظلم القبر<sup>(٤)</sup>

وحين بين أن الحب غير محرم في الشريعة فقال: «بحسب المسلم أن يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتياها باختياره ويحاسب عليها يوم القيامة. وأما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه، إذ القلوب بيد مقلّبيها، ولا يلزمه غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطأ والصواب وأن يعتقد الصحيح باليقين. وأما المحبة فعلقة، وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه

(١) الخنس: الكواكب السيارة: أو النجوم الخمسة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، وخنوسها: أنها تغيب. (انظر القاموس المحيط: مادة: خنس).

(٢) حندس: الليل المظلم. (انظر القاموس المحيط: مادة: حندس).

(٣) الكنس: هي الخنس نفسها لأنها تكنس في المغيب كالظباء في الكنس، أو هي كل النجوم لأنه تبدو ليلاً وتختفي نهاراً. (انظر القاموس المحيط: مادة: كنس). وانظر الأبيات رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ١٠٩.

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ١٨٤.

المكتسبة»<sup>(١)</sup> - عبر عن ذلك شعراً فقال:

يلومُ رجالُ فيسكٍ لم يعرفوا  
يقولون جانبَتِ التصاؤُنَ جُملةُ  
وسيانٌ عندي فيك لاحٍ وساكتُ  
وأنستَ عليّ بالشرِيعَةِ قانتُ

وقد أوردنا شعره هذا فيما سبق، وفيه ردٌّ على من اتهموه بالزللِ لوقوعه في الحُبِّ. وابن حزم لا ينتقي الفاظه ووصفه وصف حسِّي. يقول في وصف جاريه:

كأنَّها حينَ تخطو في تأوُّدِها  
كأنَّما خطوها في قلب عاشقها  
قضيْبُ نرجسةٍ في الروضِ مياسُ  
ففيه منَ وقْعِها خطِرُ ووسواسُ  
كأنَّما مشيها مشي الحُمَامَةِ لا  
كدُّ يُعابُ ولا بَطءٌ بهِ بِساسُ<sup>(٢)</sup>

وإذا كانت صورة الأندلس قد بدت من خلال كتاب الطُّوق أو غيره من الكتب النثرية الأخرى التي أسهمت في توضيح تلك الصورة فإن نصيب الشعر كان أقلَّ في هذه الناحية، يقول ابن حزم شعراً:

ويا جوهرَ الصُّينِ سُحُفًا  
وكان قبلها قد قال من القصيدة نفسها:  
فَقَدْ غَنَيْتُ بِياقوتَةِ الأندلسِ<sup>(٣)</sup>  
جرى الحُبُّ مِنِّي مجرى النَّفْسِ  
ولي سَيِّدٌ لم يَزَلْ نافراً  
فَقَبِّلْتُهُ طالِباً راحَةً  
وكان فؤادي كَنَبَتٍ هَشِيمِ  
وأعطيتُ عيني عِنانَ الفَرَسِ  
ورُبُّتُما جاداً لي في الخُلَسِ  
فزادَ أليلاً<sup>(٤)</sup> بقلبي اليَبَسِ  
بيبَسٍ رمى فيه رامٌ قَبَسِ

وطبيعي أن يستلهم ابن حزم بعض معانيه من القرآن الكريم فيقول:

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ١٤٤، ١٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٢.

(٤) أليلاً: الأثين والحنين ورفع الصوت بالدعاء. (انظر القاموس المحيط: مادة: أل).

وَلَفْظُكَ قَدْ هَنَنْتَ بِهِ عَلَيَّ  
فَلَسْتُ تَكْلُمِينَ الْيَوْمَ حَيًّا  
هَنِيئًا ذَا لِعَبَّاسٍ هَنِيئًا  
لِفَوْزٍ قَالِيًا وَبِكُمْ شَجِيئًا<sup>(١)</sup>

مَنْعَتِ جَمَالَ وَجْهِكَ مُقْلَتِيًّا  
أَرَاكَ نَذَرْتَ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا  
وَقَدْ غَنَيْتَ لِلْعَبَّاسِ شِعْرًا  
فَلَوْ يَلْقَاكَ عَبَّاسٌ لَاضْحَى

ومن أشعاره التي يُعلي فيها من شأن نفسه، وأنه فارسٌ لا يُشَقُّ له غبارٌ في ميادين العلم والأدب، ويشكو من تجاهل منزلته، ومحاولات الغضب من قدره، وزيادة التنكر له فيقول:

سوى بلدي وأنتي غير طاري  
وأهل الأرض إلا أهل داري  
وعلم ما يُشَقُّ له غُبَارِي  
فما سَطَعَ الدُّخَانُ بِغَيْرِ نَارٍ<sup>(٢)</sup>

أَنَا الْعَلَقُ الَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ  
تُنْقِرُ لِي الْعِرَاقُ وَمَنْ يَلِيهَا  
طَوَّ وَأَحْسَدُ عَلَى أَدَبٍ وَفَهْمٍ  
فَمَهْمَا طَارَ فِي الْأَفَاقِ ذِكْرِي

ومن قصيدة له يذكر فيها ما نزل بساحته من مصائب ويفخرُ بكريم صفاته قوله:

وَصَرُوحُ الدَّمْعِ مَا تُخْفِيهِ أَضْلَعُهُ  
حُلُّ الْفِرَاقِ عَلَيْهِ فَهُوَ مَوْجَعُهُ  
وَلَا تَدْفَأُ مِنْهُ قَطُّ مَضْجَعُهُ  
تَزَالُ رِيحُ الْآفَاقِ تَدْفَعُهُ  
نَفْسُ الْكَفُورِ فَتَابِي حِينَ تَوَدَّعُهُ  
فَالسَّيْرُ يُغْرِبُهُ حِينًا وَيُطْلَعُهُ<sup>(٣)</sup>

وَلَى فَوَلَّى جَمِيلُ الصَّبْرِ يَتْبَعُهُ  
جِسْمُ مَلُوكٍ وَقَلْبُ أَلْفٍ فَإِذَا  
لَمْ تَسْتَقِرْ بِهِ دَارٌ وَلَا وَطَنٌ  
كَأَنَّمَا صَيَغَ مِنْ رَهْوِ السَّحَابِ فَمَا  
كَأَنَّمَا هُوَ تَوْحِيدٌ تَضْيِيقٌ بِهِ  
أَوْ كَوَكَبٌ قَاطِعٌ فِي الْأُفُقِ مُنْتَقِلٌ

(١) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ٢٥١.

(٢) معجم الأدباء ج ١٢: ٢٤٦.

(٣) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ٢١٠، ٢١١.



وفي الرثاء لبعض أحبابه يقول:

وَدِدْتُ بَأَنْ ظَهَرَ الْأَرْضِ بَطْنُ  
وَأَنْتِي مَتَّ قَبْلَ وَرُودِ خُطْبٍ  
وَأَنْ دَمِي لِمَنْ قَدْ بَانَ غَسْلُ

وَأَنْ الْبَطْنَ مِنْهَا صَارَ ظَهْرًا  
أَتَى فَاثَارَ فِي الْأَكْبَادِ جَمْرًا  
وَأَنْ ضُلُوعَ صَدْرِي كُنْ قَبْرًا<sup>(١)</sup>

وفي رثاء الديار يقول ابن حزم:

لِئِنْ كَانَ أَظْمَانًا فَقَدْ طَالَمَا سَقَى

ويقول يشكو البين بحسرة وألم:

لَيْتَ الْغُرَابَ يَعِيدُ الْيَوْمَ لِي فَعَسَى

أَقُولُ وَاللَّيْلُ قَدْ أَرْخَى أَجَلْتَهُ

وَالنَّجْمُ قَدْ حَارَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ فَمَا

تَخَالَهُ مُخْطِئًا أَوْ خَائِفًا وَجَلًا

ومن شعر ابن حزم التجريدي الذي

متأثراً بالفلسفة رامزاً إليها قوله:

مَا عَلَةُ النَّصْرِ فِي الْأَعْدَاءِ نَعْرِفُهَا

إِلَّا نِزَاعَ نَفُوسِ النَّاسِ قَاطِبَةً

مَنْ كُنْتَ قُدَّامَةً لَا يَنْتَنِي أَبَدًا

وَمَنْ تَكُنْ خَلْفَهُ فَالْنَفْسُ تَصْرِفُهُ

وَعِلَةُ الْفَرِّ مِنْهُمْ أَنْ يَفِرُّوْنَا

إِلَيْكَ يَا لَوْلَا فِي النَّاسِ مَكُونَا

فَهُمْ إِلَى نُورِكَ الصَّعَادِ يَعِشُونَا

إِلَيْكَ طَوْعًا فَهُمْ دَابًّا يَكْرُونَا<sup>(٢)</sup>

وهكذا نرى ابن حزم وقد أباح لنفسه الخروج عن ظاهر اللفظ في أبياته

السابقة، لأن الشعر يُستثنى أحياناً، فمذهب الشعر يفرض هذا ويؤيد ذلك ما جاء

في سورة الشعراء بقوله تعالى: «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ٢٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢٨.

(٣) دَنَفًا: الدنف هو المرض الملازم، ويقصد به هنا داء العشق. (انظر القاموس المحيط: مادة: دَنَف).

(٤) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١: ١٠٠.

وَادِرْ يَهيمون، وَأَنْهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ» وَمِنْ هَذَا اللَّوْنِ مِنَ الشَّعْرِ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ:  
 تَرَى كُلَّ ضِدٍّ بِهِ قَائِمًا  
 فَيَا أَيُّهَا الْجِسْمُ لَا ذَا جِهَاتٍ  
 نَقَضْتَ عَلَيْنَا وَجْوهَ الْكَلَامِ  
 وَقَوْلُهُ:

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ كَانَتْ وَكَيْفَ سَرَتْ

أُظْلَعَةُ الشَّمْسِ كَانَتْ أَمْ هِيَ الْقَمَرُ  
 أَوْ صُورَةُ الرُّوحِ أَبْدَتْهَا لِي الْفَكْرُ  
 فَقَدْ تَخَيَّلَ فِي ادْرَاكِهَا الْبَصَرُ  
 أَوْ لَمْ يَكُنْ كُلُّ هَذَا فَهِيَ حَادِثَةٌ  
 أَتَى بِهَا سَبَبًا فِي حَتْفِي الْقَدَرُ<sup>(١)</sup>

وَأَمَّا شَعْرُهُ الَّذِي دَافَعَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَرَدَّ بِهِ حِمْلَاتِ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ شَعْرِهِ، لِأَنَّ الْإِنْدِفَاعَ وَالْعَاطِفَةَ الصَّادِقَةَ يَجْعَلَانِهِ مُتَقَدِّمًا عَلَى سَائِرِ شَعْرِهِ. وَمِنْ شَعْرِهِ الَّذِي وَجَّهَهُ إِلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرطِبَةٍ قَوْلُهُ:

أَنَا الشَّمْسُ فِي جَوْ الْعُلُومِ مُنِيرَةٌ  
 وَلَوْ أَتْنِي مِنْ جَانِبِ الشَّرْقِ طَالِعٌ  
 وَلِي نَحْوُ أَكْنَافِ الْعِرَاقِ صَبَابَةٌ<sup>(٢)</sup>  
 فَإِنْ يُنْزِلُ الرَّحْمَنُ رَحْلِي بَيْنَهُمْ  
 فَكَمْ قَائِلٌ، أَغْفَلْتُهُ وَهُوَ حَاضِرٌ  
 هُنَالِكَ يَدْرِي أَنَّ لِلْعَبْدِ غُصَّةً  
 فَوَا عَجَبًا! مَنْ غَابَ عَنْهُمْ تَشَوَّقُوا  
 وَلَكِنْ عَيْبِي أَنْ مَطْلَعِي الْغَرْبُ  
 لَجْدٌ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِي النَّهْبُ  
 وَلَا غَرُّ أَنْ يَسْتَوْحِشَ الْكَلْفُ الصَّبَّ<sup>(٣)</sup>  
 فَحِينَئِذٍ يَبْدُو التَّأْسُفُ وَالْكَرْبُ  
 وَأَطْلُبُ مَا عَنَّهُ تَجِيءُ بِهِ الْكُتُبُ  
 وَأَنْ كَسَادَ الْعِلْمِ أَفْتُهُ الْغَرْبُ  
 لَهُ، وَدُنُوُ الْمَرْءِ مِنْ دَارِهِمْ ذَنْبُ

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ج ١ - المقدمة : ٧٩

(٢) المصدر نفسه : ١١٦

(٣) الصبابة: الشوق أو رفته أو رقة الهوى (انظر القاموس المحيط: مادة: صبة).

(٤) الصب: العاشق المحب. (انظر القاموس المحيط: مادة: صبة).

على أنه فج<sup>(١)</sup> مذهبهُ سَهْبُ  
وأن زَماناً لم أنلْ خَصْبَهُ سَغْب<sup>(٢)</sup>

وإن مكاناً ضاقَ عَنِّي لَضَيِّقُ  
وإن رجالاً ضيَّعوني لَضِيْعُ

ونجده يتحدّث بمرارةٍ عمّا لحق به من صنوف الأذى، ومنها إحراق كُتُبهِ  
فيقول:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي  
يسيرُ معي حيثُ استقلتُ ركائبي  
دعوني من إحراق رَقٍّ وكاغِدٍ  
وإلا فعودوا في المكاتبِ بداءةً  
تضمُّنه القرطاسُ بل هو في صدري  
وينزل إن أنزل ويدفن في قبوري  
وقلوا بعلمي كي يرى الناسُ من يدري  
فكم دون ما تبغون لله من ستر<sup>(٣)</sup>

وكان يشعر أن موته يشفي صدور أعدائه فيفرحون أعظم الفرح فقال في ذلك :

كانك بالزوار لي قد تنادروا  
فيا ربّ مخزونٍ هناك وضاحكٍ  
عفا الله عني يوم أرحل ظاعنا<sup>(٤)</sup>  
وأترك ما قد كنتُ مفتبطاً به  
فوا راحتي إن كان زادي مقدّماً  
ومما قاله في الحكمة والدعوة الى الزهد:

وسراءُ أبنائي لمن أتحببُ  
ويتركُ صفوُ الشُّهد وهو مُحَبَّبُ  
أريدُ وإنّي فيه أشقى وأتعَبُ  
رأيتَ بغير الغوصِ في البحرِ يُطلَبُ  
وسراءُ أحشائي لمن أنا مؤثرُ  
فقد يشربُ الصابُ الكريهَ لعلّةٍ  
وأعدلُ في إجهادِ نفسي في الذي  
هل اللؤلؤُ المكنونُ والدُرُّ كُلُّهُ

(١) فج: الطريق الواسع بين جبلين. (انظر القاموس المحيط: مادة: فج).

(٢) سغب: العطش والجاعة. (انظر القاموس المحيط: مادة: سغب).

(٣) الأخيرة- القسم الأول- المجلد الأول: ١٧١.

(٤) ظاعنا: محرّكاً مبتعداً. (انظر القاموس المحيط: مادة: ظعن).

(٥) الأخيرة- القسم الأول- المجلد الأول: ١٧٢.

إذا في سواها صَحَّ مَا أَنَا أَرْغَبُ  
بِمَا هُوَ أَدْنَى لِلصَّلَاحِ وَأَقْرَبُ  
وَنَعْتُ سَجَايَا الصَّحِيحِ الْمُهْدَبُ  
وَفِي الْأَصْلِ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضُ مُعْجَبُ

وَأَصْرَفَ نَفْسِي عَنْ وَجْهِ طِبَاعِهَا  
كَمَا نَسَخَ اللَّهُ الشَّرَائِعَ قَبْلَنَا  
وَأَلْقَى سَجَايَا كُلِّ خَلْقٍ بِمِثْلِهَا  
كَمَا صَارَ لَوْنُ الْمَاءِ لَوْنُ إِنَانِهِ

ومنها :

حياتي بها والموت مِنْهُنَّ يُرْهَسِبُ  
وَلَا يَقْتَضِي مَا فِي ضَمِيرِي التَّجَنُّبُ  
وَفِي ظَاهِرِي أَهْلٌ وَسَهْلٌ وَمَرْحَبُ  
وَمَبْدُوهَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَلْعَبُ  
عَجِيبُ وَتَحْتَ الْوَشْيِ سَمٌّ مُرْكَبُ  
وَفِيهِ إِذَا هُزَّ الْحِمَامُ الْمَذْرَبُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا هِيَ نَالَتْ مَا لَهَا فِيهِ مَوْعِبُ  
لِيَأْتِيَ غَدًا وَهُوَ الْمَصُونُ الْمُقْرَبُ  
مِنْ الْعِزِّ يَتْلُوهُ مِنَ الذُّلِّ مُرْكَبُ  
وَرُبُّ طَوًى بِالْخَصْبِ أَتٍ وَمُعْقِبُ  
وَلَا التَّدْطِيعُ طَعْمُ الرُّوحِ مِنْ لَيْسَ يَنْعَصِبُ  
أَلَذُّ مِنَ الْعَلِّ<sup>(٢)</sup> الْمَكِينِ وَأَعْذَبُ

أَقَمْتُ ذَوِي وَدِّي مَقَامَ طِبَاعِي  
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَدْلُبِيهِ بِشَاشَةِ  
أَزِيدُ نِفَارًا عِنْدَ ذَلِكَ بَاطِنًا  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَعْلُو اشْتِعَالُهَا  
وَالْحَيَّةَ الرَّقِشَاءَ وَشَيْءٌ وَلَوْ نَهَا  
وَأِنْ فَرَنْدُ<sup>(٣)</sup> السِّيفِ أَعْجَبُ مَنظَرًا  
وَاجْعَلْ ذُلُّ النَفْسِ عِزَّةً أَهْلَهَا  
فَقَدْ يَضَعُ الْإِنْسَانُ فِي التَّرْبِ وَجْهَهُ  
فَذُلُّ يَسُوقُ الْعِزَّ أَجْوَدُ لِلْفَتَى  
وَكَمْ مَأْكَلٍ أُرَبَّتْ عَوَاقِبُ غَيْرِهِ  
وَمَا ذَاقَ عِزَّ النَفْسِ مَنْ لَا يَذُلُّهَا  
وَرُودُكَ نَهْلَ الْمَاءِ مِنْ بَعْدِ ظِمَاةٍ

ومنها :

فَرْدٌ طَيِّبًا إِنْ لَمْ يُتَجَّ لَكَ أَطْيَبُ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حَاشَاهُ مَشْرَبُ  
شَجَى وَالصَّدَا بِالْحُرِّ أَوْلَى وَأَوْجَبُ

وَفِي كُلِّ مَخْلُوقٍ تَرَاهُ تَفَاضُلُ  
وَلَا تَرْضَ وَرَدَ الرُّنْقُ<sup>(٤)</sup> إِلَّا ضَرُورَةٌ  
وَلَا تَقْرَبُنْ مِلْحَ الْمِيَاهِ فَإِنَّهَا

(١) فرند: السيف وجوهره. (انظر القاموس المحيط: مادة: فرند).

(٢) المذرب: المسموم. (انظر القاموس المحيط: مادة: ذرب).

(٣) العل: الشرب بعد الشرب تباهاً. (انظر القاموس المحيط: مادة: عل).

(٤) الرنق: الانهيار والمسيل إذا نضب الماء وغلب الطين فيها على الماء. (انظر القاموس المحيط: مادة: رنق).

ومنها :

فخذْ من جَدَاها ما تيسر واقتنع  
فمالك شرطٌ عندها لا ولا يدُ  
ولا تياسنْ ممَّا يُنالُ بحيلةٍ  
ولا تآمنِ الإظلامَ فالفجرُ طالعُ  
ولا تكُ مشغولاً بمن هو يغلبُ  
ولا هي إنْ حصُلتْ أمْ ولا أبُ  
وإنْ بعدتْ فالأمرُ ينأى ويصعبُ  
ولا تلتبسْ بالضوءِ فالشمسُ تغربُ

ومنها:

ألحْ فإنَّ الماءَ يكدحُ في الصفا  
وكثرُ ولا تفشلْ وقلْ كثيرُ ما  
فلو يتفدَّى المرءُ بالسُّمِّ قاتلهُ  
إذا طال ما يأتي عليه ويذهبُ  
فعلتْ فماءُ المزنِ<sup>(١)</sup> جمٌ وينضبُ<sup>(٢)</sup>  
وقامَ له مِنْهُ غداءٌ مجرَّبُ<sup>(٣)</sup>

ومما قاله يشكو تقلبات الزمان، ويحُضُّ على الزُّهدِ في اللذات الدنيويَّة:

هل الدهرُ إلَّا ما رأينا وأدركنا؟  
إذا أمكنت فيه مسرَّةٌ ساعةٍ  
إلى تبعاتٍ في المعادِ وموقفٍ  
حصَلنا على همٍّ وإثمٍ وحسرةٍ  
حنينُ لما ولَّى وشغلُ بما أتى  
فجائعه تبقى ولذاتهُ تفنسى  
تولتْ كمرَّ الطرفِ واستخلفتْ حُزنا  
نودُ لديهِ أنَّا لم نكنْ كُنَّا  
وفاتِ الذي كُنَّا نلذُّ به عَنَّا  
وغمُّ لما يَرجى، فعيشُك لا يَهْنا<sup>(٤)</sup>

ولابن حزم نقیضة ردُّ بها على شاعر مرتدٍّ نَظَّمَ قصيدةً لنقفور امبراطور الروم يتعالى ويفتخر فيها على المسلمين مُحاولاً النُّيلَ من الاسلام مُمثلاً في كتابه ورسوله وأئمة المسلمين، ومُقَلِّلاً من قيِّمة المسلمين وجهادهم، فكان أن نظم ابن حزم قصيدةً طويلةً نقضَ بها قصيدة نقفور التي كان قد أرسل بها إلى خليفة

(١) المزن: ماء المطر. (انظر القاموس المحيط: مادة: مزن).

(٢) ينضب: من نَضَبَ سَالَ وَجَرى أَي قَلَّ. (انظر القاموس المحيط: مادة: نَضَبَ).

(٣) رسائل ابن حزم الأندلسي ج: ١: ١٩٣.

(٤) الذخيرة - القسم الاول - المجاد الاول: ١٧٢، ١٧٣.

المسلمين في ذلك الوقت وهو أبو القاسم (الفضل ابن المقتدر الإمام المطيع لله)<sup>(١)</sup>، وكان ابن حزم قد قالها على البديهة بمجرد أن قرأت قصيدة نقفور في مجلس الخلافة، وأورد في هذه المطولة كثيراً من الأدلة والبراهين يدحض بها مزاعم ذلك الإمبراطور، ويكشف أباطيلهم، ويقذف بالحق الواضح الصريح أكاذيبهم، وكان مما قال:

من المحتمي لله ربّ العوالم	ودين رسول الله من آل هاشم
محمد الهادي الى الناس بالتقى	وبالرشد والإسلام أفضل قادم
عليه من الله السلام مُردداً	إلى أن يوافي البعث كلّ العوالم
إلى قائل بالإفك جهلاً وضلّة	عن النقفور المنتزي في الاعاجم
دعوت إماماً ليس من أمراً له	بكفيه إلا كالرسوم <sup>(٢)</sup> الطواسم <sup>(٣)</sup>
دهته الدواهي في خلافته كما	دهت قبله الأملاك دهم الدواهم <sup>(٤)</sup>
ولا عجب من نكبة أو ملّة	تصيب الكريم الحرّ وابن الأكارم
ولو أنه في حال ماضي جدوده	لجرعتهم منه سُموم الأراقم
عسى عطفة لله في أهل ديميه	تجرد منهم دراسات المعالم
فخرتم بما لو كان فهم يريكم	حقائق دين الله أحكم حاكم
إذن لعرتكم خجالة عند ذكره	وأخرس منكم كلّ قيل <sup>(٥)</sup> مخاصم
سلبناكم دهرأ ففزتم بسكرة	من الدهر أفعال الضعاف العزائم
فطرتم سروراً عند ذاك ونخوة	كفعل المهين الناقص المتعاضم
وما ذاك إلا في تضاعيف غفلة	عرتنا وصرف الدهر جم الملاحم <sup>(٦)</sup>

(١) انظر طبقات الشافعية الكبرى: ج ٢: ٢٠٥ - تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الطلو.

(٢) الرسوم الطواسم: الرسوم: بقايا الآثار. (انظر لسان العرب: مادة: رسم).

(٣) الطواسم: الشيء يطسم طسوماً: انطمس. (انظر القاموس المحيط: مادة: طسم).

(٤) الدواهم: الدهم: السود دهم الدواهم: الفتن السود المظلمة (انظر لسان العرب: مادة: دهم).

(٥) القيل: ما دون الملك الاعلى، ساداتهم (انظر القاموس المحيط: مادة: قيل).

(٦) الملاحم: جمع ملحمة، وهي الوقعة العظيمة القتال. (انظر القاموس المحيط: مادة: لحم).

ولمّا تنازعنا الأمور تـخـاذلاً  
وقد شغلت فينا الخلائف فتنّة  
بكفر أياديهم وجحد حُقوقهم  
وثبتّم على أطرافنا عند ذلكم  
ألّم ننتزع منكم بأيدي وقوة  
ومصر وأرض الثيروان بأسرها  
ألّم تَنَصّف منكم على ضعف حالها  
أحلت بقسطنطينة كلّ نـكـبة  
مشاهد تقديساتكم وبيوتها  
أما بيت لحم والقيامة بعدها  
وكرسيكم في أرض إسكندرية  
ضممناهم قسراً برغم أنوفكم  
وكُرسى أنطاكية كان بُرهة  
فليس سوى كُرسى رومة فيكم  
ولا بُدّ من عود الجميع بأسره  
أليس يزيد<sup>(١)</sup> حلّ وسط دياركم

ودالت لأهل الجهل دولة ظالم  
لِعبدانهم من تركهم والديالم  
لمن رفعوه من حضيض البهائم  
وثوب لُصوص عند غفلة نائم  
جميع بلاد الشام ضربة لازم<sup>(٢)</sup>  
واندلساً قسراً بضرب الجماجم  
صقلية في بحرها المتـلـاطم<sup>(٣)</sup>  
وسامتكم سوء العذاب المُلازم  
لنا وبأيدينا على رَغم راغم<sup>(٤)</sup>  
بأيدي رجال المسلمين الأعظم  
وكرسيكم في القدس في أورشالم  
كما ضمت الساقين سود الأدهم<sup>(٥)</sup>  
ودهراً بأيدينا وبذل الملاغم<sup>(٦)</sup>  
وكُرسى قسطنطينة في المقدم  
إلينا بعزم قاهر متعاظم  
على باب قسطنطينة بالصوارم

(١) ضربة لازم، ضربة ثابتة. (انظر القاموس المحيط: مادة: لازم).

(٢) المتلاطم: تضرب امواجه بعضها بعضاً. (انظر القاموس المحيط: مادة: لَطَم).

(٣) راغم: كاره، ذليل. (انظر القاموس المحيط: مادة: رَغَم).

(٤) سود الاداهم: الخيل السوداء. (انظر القاموس المحيط: مادة: دَهَم).

(٥) الملاغم: ما حول الغم. ويقصد انهم يرغبون ونوما فائدة. (انظر القاموس المحيط: مادة: لَغَم).

(٦) يزيد: يشير الى يزيد بن أبي سفيان وحصار القسطنطينية في عهده. (انظر تاريخ ابن خلدون - لابن خلدون (عبد الرحمن بن

خلدون): ٢٠، ٢١، ٨٤ - المجلد الثالث - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

وَمَسْلَمَةٌ<sup>(١)</sup> قَدَدَاسَهَا بَعْدَ ذَاكُمْ  
وَأَخْدَمَكُمْ بِالذَّلِّ مَسْجَدَنَا الَّذِي  
بجيشٍ لَهُام<sup>(٢)</sup> كَاللِّيُوثِ الضَّرَاغِمِ  
بَنَى فِيكُمْ فِي عَصْرِنَا الْمُتَقَادِمِ

وفي هذه النقيضة الطويلة نرى ابن حزم يمدح رسول الله ﷺ، ثم يسرد حوادث ويروي أخباراً من التاريخ يوم كان المسلمون أعزاء يحاربون الفرنجة وينتصرون عليهم وَيَسْتَوْلُونَ على كل عزيز ومقدس لديهم، ومن خلال ذلك كله يفخر بماضي هذه الأمة المجيد، ويعترف بأن الضعف الذي تعيشه الأمة في عصره، وانشغال الخلفاء في أمر الفتن هو الذي مَكَّنَ لأعدائهم منهم فإذا هم يستردون بعض ما كان قد استولى عليه المسلمون من قبل، ويتابع ابن حزم قائلاً: إِنَّ كُلَّ مَا اسْتَعَادَهُ الْفَرَنْجَةُ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ لَا بُدَّ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ.  
ومن هذه المطولة أيضاً قوله:

إِلَى جَنْبِ قَصْرِ الْمَلِكِ فِي أَرْضِ مُلْكُكُمْ  
وَأَدَّى لِهَارُونَ الرَّشِيدِ مَلِكِكُمْ  
سَلْبِنَاكُمْ مَسْرَى شَهُوراً بِسُقُوتِ  
إِلَى أَرْضِ يَعْقُوبَ وَأَرْيَافَ دُومَةَ  
فَهَلْ سَرْتُمْ فِي أَرْضِنَا قَطُّ جُمُعَةً  
فَمَا لَكُمْ إِلَّا الْأَمَانِيُّ وَحَدَهُمَا  
رَوِيداً يَعْدُ نَحْوَ الْخِلَافَةِ نَوْرُهَا  
وَحِينَئِذٍ تَدْرُونَ كَيْفَ فِرَارِكُمْ  
عَلَى سَلَفِ الْعَادَاتِ مِنَّا وَمِنْكُمْ  
أَلَا هَذِهِ حَقًّا صَرِيْمَةٌ صَارِمٌ<sup>(٣)</sup>  
إِتَاوَةً مَغْلُوبٍ وَجْزِيَةً غَارِمِ  
حَبَانَا بِهَا الرَّحْمَنُ أَرْحَمُ رَاحِمِ  
إِلَى لُجَّةِ الْبَحْرِ الْبَعِيدِ الْحَارِمِ  
أَبَى اللَّهُ ذَاكُمْ يَا بَقَاةَ الْهَزَائِمِ  
بِضَائِعِ نَوْكِي تِلْكَ أَضْغَاثُ حَالِمِ<sup>(٤)</sup>  
وَيُكْشَفُ مَغْبَرُ الْوُجُوهِ السُّوَاهِمِ  
إِذَا صَدَمْتَكُمْ خَيْلُ جَيْشِ مُصَادِمِ  
لِيَالِي أَنْتُمْ فِي عِدَادِ الْغَنَائِمِ

(١) مسلمة: هو مسلمة بن عبد الملك أرسله أخوه سليمان بن عبد الملك إلى القسطنطينية سنة ٩٨هـ، وأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها معه وجوه أهل الشام حتى أتاه خبر موت سليمان. (انظر تاريخ الأمم والملوك - المجلد الرابع - ج ٨ / للطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري): ١١٧ - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان).

(٢) لهام: اللهام هو الجيش العظيم. (انظر القاموس المحيط: مادة: لهم).

(٣) الصارم: السيف القاطع. (انظر القاموس المحيط: مادة: صرم).

(٤) أضغاث حال: رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها. (انظر القاموس المحيط: مادة: ضغث).



سببتم سبائا ليس يكثر عددها  
فلو رام خلق عدما رام معجزاً  
بأبناء حمدان وكافور صلتهم  
دعي وحجام أتوكم فتسببتم  
ليالي قدناكم كما اقتاد جازر  
وسقنا على رسل بنات ملوككم  
ولكن سلوا عنا مرقلاً ومن خلا  
يخبركم عنا المتوج منكم  
وعما فتحنا من منيع بلادكم  
ودع كل نذل منكم لا تغسده  
فهيئات سامرا وتكريت منكم  
متى يتمناها النعيف ودونها  
ومن دون بغداد سيف حديد  
محلة أهل الزهد والخير والتقى  
دعوا الرملة الغراء عنكم ودونها  
ودون دمشق كل جيش كأنه  
وضرب يلقي الروم كل مذلة  
ومن دون أكناف الحجاز جافل<sup>(١)</sup>  
بها من بني عدنان كل سميذع  
ولو قد لقيتم من قضاة عصابة

وسببكم فينا كقطر الغمام  
وأنى بتعداد لريش الحمائم  
أراذل أنجاس قصار المعاصم  
وما قدر مصاص دماء المحاجم  
جماعة أتياس لحز الحسلاقم<sup>(٢)</sup>  
سبائا كما سيقبت ظباء الصرائم<sup>(٣)</sup>  
لكم من ملوك مكرمين قماقم<sup>(٤)</sup>  
وقيصركم عن سبينا كل أيم  
وعما أقمنا فيكم من مسالم  
إماماً ولا من محكمات الدعائم  
إلى جبل تلكم أمانسي هائم  
تطائر هامات وحز الغلاصم  
ميسرة للحرب من آل هاشم  
ومنزلة محتلها كل عالم  
من المسلمين الصييد كل ملازم  
سحاب طير تبتجي بالقوادم  
كما ضرب الضراب بيض الدراهم  
كقطر الغيوث<sup>(٥)</sup> الهاملات السواجم  
ومن حي قحطان كرام العمام  
لقيتم ضراماً في يبيس الهشائم

(١) الحلاقم: أي الطوق. (انظر القاموس المحيط: مادة: حلقم).

(٢) الصرائم: جمع صريمه وهي الزيمة. (انظر القاموس المحيط: مادة: صرم).

(٣) قماقم: صغار القردان وضرب من القمل. (انظر القاموس المحيط: مادة: قم).

(٤) جافل: الجيوش الكثيرة، والرجال العظيمة. (انظر القاموس المحيط: مادة: جافل).

(٥) الغيوث: كثير المطر. (انظر القاموس المحيط: مادة: غاث).

إِذَا صَبَحُوكُمْ ذَكَّرُوكُمْ بِمَا خَلَا  
 زَمَانٌ يَقُودُونَ الصَّوْافِنَ نَحْوَكُمْ  
 سِيَّاتِيكُمْ مِنْهُمْ قَرِيباً عَصَانِسَبُ  
 وَأَمْوَالِكُمْ فِيءٌ أَهْمٌ وَدِمَاؤُكُمْ  
 وَأَرْضُكُمْ حَقًّا سَيَقْتَسِمُونَهَا  
 وَلَوْ طَرَقْتَكُمْ مِنْ خِرَاسَانَ عَصَبَةً  
 لَمَا كَانَ مِنْكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ غَيْرُ مَا  
 فَقَدَ طَالَمَا زَارُوكُمْ فِي بِلَادِكُمْ  
 وَأَمَّا سَجِسْتَانُ وَكَرْمَانُ وَالْأَلَى  
 فَمَغْزَاهُمْ فِي الْهِنْدِ لَا يَعْرِفُونَكُمْ  
 وَفِي فَارِسٍ وَالسُّوسِ جَمْعٌ عَرْمَرُمٌ<sup>(١)</sup>  
 فَلَوْ قَدْ أَتَاكُمْ جَمْعُهُمْ لَفُتِدُوتُمْ

لَهُمْ مَعَكُمْ مِنْ مَازِقٍ مُتَلَحِّسِينَ  
 لِيَبْغُوا يَسَاراً مِنْكُمْ فِي الْمَغْسَانِ  
 تُنْسِيَكُمْ تَذْكَارَ أَخَذِ الْعَوَاصِمِ  
 بِهَا يُشْتَفَى حَرُّ النُّفُوسِ الْحَوَائِمِ  
 كَمَا فَعَلُوا دَهراً بِعَدْلِ الْمُقَاسِمِ  
 وَشِيرَازَ وَالرُّيَّ الْقِلَاعِ الْقَوَائِمِ  
 عَهْدَنَا لَكُمْ ذُلٌّ وَعَضُّ الْأَبْهَامِ  
 مَسِيرَةَ عَامٍ بِالْخِيُولِ الصُّلَادِمِ<sup>(٢)</sup>  
 بِكَابِلٍ حَلَوٍ فِي دِيَارِ الْبِرَاهِمِ  
 بَغِيرِ أَحَادِيثٍ لِذِكْرِ التُّهَازِمِ  
 وَفِي أَصْبَهَانَ كُلِّ أَرُوعٍ عَازِمِ  
 فَرَائِسٍ لِلْأَسَادِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

فابن حزم هنا يستذكر شجاعة المسلمين في ماضيهم المشرق، ويستحثهم  
 همهم كي ينهضوا من جديد لمحاربة أعدائهم وتلقيتهم دروساً قاسية مثل تلك التي  
 كان الأجداد قد لقنوها لهم من قبل، ثم يواصل ابن حزم قوله من تلك القصيدة:  
 وبالبصرة الزهراء والكوفة التي  
 جموعٌ تُسامي الرُّمْلَ جَمٌّ عَدِيدُهُمْ  
 ومن دون بيت الله مَكَّةُ والتي  
 محلُّ جميع الأرض منها تيقنُ  
 دِفَاعٌ مِنَ الرَّحْمَنِ عَنْهَا بِيَحَقِّهَا  
 بها دَفَعَ الْأَحْبُوشَ عَنْهَا وَقَبْلَهُمْ  
 وجمع كموج البحر ماضٍ عَرْمَرُمِ

سَمَتْ وَبَادَنِي وَاسْطَرَّ كَالْكَظَائِمِ  
 فَمَا أَحَدٌ يَنْوِي لِقَاهُمْ بِسَالِمِ  
 حَبَاهَا بِمَجْدٍ لِلثَّرِيَّا مُسْلَازِمِ  
 مَحَلَّةٌ سَفَلِ الْخَفِّ مِنْ فَصٍّ خَاتِمِ  
 فَمَا هُوَ عَمَّا كَرَّ طَرْفٌ<sup>(٣)</sup> بِرَائِمِ  
 بِحَصْبَاءٍ طَيْرٍ مِنْ ذُرَا الْجَوْ حَائِمِ  
 حَمَى سِرَّةِ الْبَطْحَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِمِ

(١) الصلادم: الصلب والشديد الحافر (انظر القاموس المحيط: مادة: صلدم)

(٢) عرمرم: الجيش الشديد الكثير. (انظر القاموس المحيط: مادة: عرمرم).

(٣) طرف: الكريم من الخيل. (انظر القاموس المحيط: مادة: طرف).

وَمِنْ دُونِ قَبْرِ الْمُسْطَفَى وَسَطَ طَيِّبَةٍ  
 يَقُودُهُمْ جَيْشُ الْمَلَائِكَةِ الْعُضَلَا  
 فَلَوْ قَدْ لَقِينَاكُمْ لَعُدْتُمْ رَمَانِمَا  
 وَبِالْيَمَنِ الْمَمْنُوعِ فِتْيَانُ غَارَةِ  
 وَفِي حَلَّتِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ عَصَبَةٌ  
 سَنَفْنِيكُمْ وَالْقَرَمِطِيِّينَ دُولِمَ  
 خَلِيفَةُ حَقٍّ يَنْضُرُ الدِّينَ حُكْمُهُ  
 إِلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ تَنْمَى جَسَدُودُهُ  
 مُلُوكُ جَرَى بِالنَّحْرِ طَائِرُ سَعْدِهِمْ  
 مَحَلَّتُهُمْ فِي مَجْلِسِ الْقُدْسِ أَوْلَدِي  
 وَإِنْ كَانَ مِنْ عَلِيَا عَدِيٍّ وَتَيْمَهَا  
 فَأَهْلًا وَسَهْلًا ثُمَّ نَعْمَى وَمَرْحَبًا  
 هُمْ نَصَرُوا الْإِسْلَامَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا  
 رَوِيدًا فَوَعَدُ اللَّهِ بِالصَّدَقِ وَارْدُ  
 سَنَفْتَحُ قُسْطَنْطِينَ ذَوَاتَهَا  
 وَنَمْلِكُ أَقْصَى أَرْضِكُمْ وَبِلَادِكُمْ  
 وَنَفْتَحُ أَرْضَ الصِّينِ وَالْهِنْدِ عَنُودَ  
 مَوَاعِيدُ لِلرَّحْمَنِ فِينَا صَحِيحَةٌ  
 إِلَى أَنْ يَرَى الْإِسْلَامُ قَدْ عَمَّ حُكْمُهُ  
 أَتَقْرَنُ يَا مَخْذُولُ دِينِ مَثَلْتِ  
 تَدِينُ لِمَخْلُوقٍ يَسْتَدِينُ عِبَادُهُ  
 أَنَا جَيْلُكُمْ مَصْنُوعَةٌ بِتَكَاذِبِ  
 وَعُودُ صَلِيبٍ لَا تَزَالُونَ سُجْدًا

جُمُوعٌ كَمُسُودَةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَاحِصٌ  
 كِفَاحًا وَدَفْعًا عَنْ مُصَلٍّ وَصَانِمِ  
 بِمَنْ فِي أَعَالِي نَجْدِنَا وَالْحَضَارِمِ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا مَا لِقُوكُمْ كُنْتُمْ كَالْمَطَاعِمِ  
 مَغَاوِرُ أَنْجَادٍ طَوَالُ الْبَرَاكِجِ<sup>(٢)</sup>  
 يَعُودُ لَمِيمُونَ النَّقِيبَةِ حَازِمِ  
 وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لُومَةً لَانِمِ  
 بِفَخْرِ عَمِيمٍ أَوْ لَزْهَرِ الْعَبَّاشِمِ<sup>(٣)</sup>  
 فَأَهْلًا بِمَاضٍ مِنْهُمْ وَبِقَسَادِمِ  
 مَنَازِلِ بَغْدَادٍ مَحَلُّ الْأَكْوَارِمِ  
 وَمَنْ أَسَدٍ أَهْلِ الصَّلَاحِ الْحَضَارِمِ  
 بِهِمْ مِنْ خِيَارِ سَالِفِينَ أَقَادِمِ  
 وَهُمْ فَتَحُوا الْبُلْدَانَ فَتَحَ الْمُرَاغِمِ  
 بِتَجْرِيعِ أَهْلِ الْكُفْرِ طَعْمَ الْعِلَاقِمِ  
 وَنَجَعَلَكُمْ قُوتَ النُّسُورِ الْقَشَاعِمِ  
 وَنَلْزَمُكُمْ ذُلَّ الْجَزَى وَالْمَغَارِمِ  
 بِجَيْشٍ بِأَرْضِ الثُّرُكِ وَالْخَزَرِ حَاطِمِ  
 وَلَيْسَتْ كَأَمْثَالِ الْعُقُولِ السُّقَانِمِ  
 جَمِيعَ الْبِلَادِ بِالْجِيُوشِ الصُّوَارِمِ  
 بَعِيدٍ عَنِ الْمَعْقُولِ بِأَدْيِ الْمَآثِمِ  
 فَيَا لَكَ سُخْفًا لَيْسَ يَخْفَى لِكَاثِمِ  
 كَلَامُ الْأَلَى فِيمَا أَتَوْا بِالْعِظَانِمِ  
 لَهُ يَا عُقُولَ الْهَامَلَاتِ السَّوَانِمِ

(١) الحضارم: من الحاضرة خلاف البادية، سكان الحضر. (انظر القاموس المحيط: مادة: حضر).

(٢) البراجم: مفاصل الاصابع. (انظر القاموس المحيط: مادة: برجم).

(٣) العباشم: بنو عبد شمس. (انظر القاموس المحيط: مادة: عبشم).

تَدِينُونَ تَضَلَّالًا بِصَلْبِ إِلَهِكُمْ  
إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ تَوْحِيدِ رَبَّنَا  
وَصِدْقِ رِسَالَتِ الَّذِي جَاءَ بِالْهُدَى  
وَأَذَعَنْتِ الْأَمْلَاقَ طَوْعًا لِدِينِهِ  
كَمَا دَانَ فِي صُدْعَاءِ يَا لَكَ دَوْلَةً  
وَسَائِرُ أَمْلَاقِ الْيَمَانِينَ أَسْلَمُوا  
أَجَابُوا لِدِينِ اللَّهِ دُونَ مَخَافَةٍ  
فَحَلُّوا عُرَى التَّيْجَانِ طَوْعًا وَرَغْبَةً  
وَحَابَاهُ بِالنُّصْرِ الْمَسْلُوكِ إِلَهَهُ  
فَقِيرٌ وَحِيدٌ لَمْ تُغْنِهِ عَشِيرَةٌ  
وَلَا عِنْدَهُ مَالٌ عَتِيدٌ لِنَاصِرٍ  
وَلَا وَعْدُ الْأَنْصَارِ دُنْيَا تَخْصُمُهُمْ  
فَلَمْ تَمْتِنَهُ قَطُّ هَوَّةٌ أَسْرَرِ  
كَمَا يَفْتَرِي زُورًا وَإِفْكَاءَ وَضَلَّةٍ  
عَلَى أَنْكُمْ قَدْ قُلْتُمْ هُوَ رَبُّكُمْ  
أَبَى اللَّهُ أَنْ يُذْهِبَ لَهُ ابْنُ وَصَاحِبٍ  
وَلَكِنَّهُ عَسَى بِدُ نَبِيٍّ مُكْرَمٍ  
أَيُلْطَمُ وَجْهُ الرَّبِّ تَبًّا لِحَبْلِكُمْ  
وَكَمْ آيَةٌ أَبْدَى النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ  
تَسَاوَى جَمِيعُ النَّاسِ فِي نَصْرِ حَقِّهِ  
فَعَرَبٌ وَأَحْبُوشٌ وَتُرْكٌ وَبَرْبَرٌ  
وَقَبِيطٌ وَأَنْبَادٌ وَخَزَرٌ وَدَيْلَمٌ  
أَبَوْا كُفْرَ أَسْلَافٍ لَهُمْ فَتَحَنُّفُوا

بأيدي يهود، أرذلين الانسـ  
فما دينُ ذي دينٍ لنا بمقاوم  
محمدٍ الآتي يدفع المظالم  
ببرهانٍ صديقٍ ظاهرٍ في المواسم  
وأهلُ عُمانٍ حيثُ رهطُ الجهاضم<sup>(١)</sup>  
ومن بلدِ البحرينِ قومُ اللهازم<sup>(٢)</sup>  
ولا رغبةٍ تحظى بها كفُّ عادمٍ  
لِحَقِّ يَاقينٍ بالبراهينِ ناجمٍ  
وصَيْرَ مَنْ عاداهُ تحتَ المناسمِ  
ولا دفعوا عنه شتيمةً شاتمٍ  
ولا دفعَ مرهوبٍ ولا لمُسالمٍ  
بلى كانَ معصوماً لأعظمِ عاصمٍ  
ولا مكَّنتُ من جسمه يدُ لاطمٍ  
على وجهِ عيسى منكم كلُّ أثمٍ  
فيا لَضلالٍ في الحماقَةِ جاثمٍ  
ستلقى دَعَاةُ الكُفْرِ حَالَةً نادمٍ  
من الناسِ مخلوقٌ ولا قولَ زاعمٍ  
لقدِ فقتُمُ في جهلكُم كلُّ ظالمٍ  
وكم علمُ أبداهُ للشُّركِ حاطمٍ  
فلِلْكلِ من إعظامه حالُ خادمٍ  
وفُرسٌ بهم قد فازَ قِدْحُ المساهمِ  
ورومٌ رموكُم دونه بالقواصمِ  
فآبوا بحظ في السعادةِ جاثمِ

(١) الجهاضم: الجهم: الضخم الهامة، المستدير الوجه والرحب الجنين الواسع الصدر. (انظر القاموس المحيط: مادة: جهم).

جهم).

(٢) اللهازم: من خالط الشيب خديّة، وهو لقب بني تيم الله بن ثعلبة (انظر القاموس المحيط: مادة: لهزم).

ودانوا لأحكام الإله اللوازم  
 به دانيال قبله ختم خاتم  
 بدين الهدى في رفض دين الأعاجم  
 وأشبع من صاع له كل طاعم  
 فأروى به جيشاً كثير القمام<sup>(١)</sup>  
 ولا كدعوا غير ذات قوائم  
 تعاقبه ظلماء اسحم<sup>(٢)</sup> عاتم  
 وتخليطكم في جوهر وأقام  
 وأنتم حمير ذاهبات الحازم  
 ضعيف معاني النظم جم البلاغم<sup>(٣)</sup>

به دخلوا في ملّة الحق كلهم  
 به صنع تفسير النام الذي أتى  
 وسند وهند أساموا وتدينوا  
 وشق لنا بدر السماوات آية  
 وسالت عيون الماء في وسط كفه  
 وجاء بما تقضي العقول بصدق  
 عليه سلام الله ما ذر شارق  
 براهينه كالشمس لا مثل قولكم  
 لنا كل علم من قديم ومحدث  
 أتيتم بشعر بارد متخاذل

وهكذا نرى ابن حزم ينقض ما جاء في القصيدة النقفورية، مورداً أدلة تاريخية ودينية ومذهبية، كان قد بدا فيها حرصه الشديد على عودة وحدة المسلمين، وعبر عما يملأ قلبه من ألم وما يعتصر نفسه من حزن لما آل إليه حال الأمة المسلمة حتى طمع فيها اعداؤها وتنافسوا على انتهاب خيراتها واقتسامها. كما أورد بعض معتقدات النصارى وكذب افتراءاتهم على عيسى بن مريم عليه السلام، وافتراءاتهم أيضاً على الله -جل جلاله- وأيد الحق الذي أرسل الله به محمداً ﷺ، وذكر فضل رسول الله، على أنه بشر، لكن الله أيده بالمعجزات، وألهم الناس أن يتبعوا دينه، على اختلاف سنتهم وألوانهم، ثم كان أن نصره الله على كل من عاداه أو حاول أن يقف حجر عثرة في طريقه أو في طريق انتشار دينه.

كان تأثير الفلسفة والفقه واضحين جداً في شعر ابن حزم فهو يتحدث عن الحب بأسلوب طبي علسي فيقول:

(١) القمام: العدد الكثير. (انظر القاموس المحيط: مادة: قم).

(٢) الأسحم: الأسود. (انظر القاموس المحيط: مادة: سحم).

(٣) البلاغم: كثير التكلف. (انظر القاموس المحيط: مادة: بلغم).

يقولُ لي الطبيبُ بغير علمٍ  
 وداني ليس يدريه سواني  
 أكتُمهُ ويكشِفهُ شهيقُ  
 ووجهُ شَاهداتِ الحسنِ فيه  
 وأثبتُ ما يكونُ الأمرُ يوماً  
 فقلتُ له ابنُ عَنِّي قليلاً  
 فقال أرى نَحولاً زادَ جداً  
 فقلتُ له الذُّبُولُ تَعْلُ مِنْهُ  
 وما أَشكو لَعَمْرُ اللَّهِ حُمَى  
 فقال أرى التَّفَاتَا وارتقاباً  
 وأحسبُ أنها السوداءُ فانظرُ  
 فقلتُ له كلامُكَ ذا مُحالُ  
 فأطرقَ باهتِماً ممّا رآهُ  
 فقلتُ له دواني مِنْهُ داني  
 وشاهدُ ما أقولُ يَرى عياناً  
 وتَرياقُ الأفاعي ليسَ شيءُ

تداوُ فأنْتَ يا هذا عَليلاً  
 ورَبُّ قَادِرٌ مَلِكٌ جَليلُ  
 يُلَازِمُنِي وإِطراقُ طويلُ  
 وجِسْمُ كَالخيالِ ضَنّ نَحيلُ  
 بلا شكٍّ إِذا صَحَّ الدَّليلُ  
 فلا واللهِ تَعرِفُ ما تَقولُ  
 وعِلَّتْكَ التي تَشكو ذُبُولُ  
 الجوارِحُ وهي حُمَى تَسْتَحِيلُ  
 وإنَّ الحَرَّ في جِسْمِي قَليلُ  
 وأفكساراً وصممتاً لا يَزولُ  
 لِنَفْسِكَ إِنَّها عَرَضُ ثَقِيلُ  
 فما لِلدَّمعِ مِنْ عيني يَسيلُ  
 ألا في مِثْلِ ذَا بُهتِ النِّبيلُ  
 ألا في مِثْلِ ذَا ضَلَّتْ عُقُولُ  
 فروعُ النَّبِتِ إنَّ عَكِستَ أَصُولُ  
 سِوَاهُ بَبرٍ ما لَدَغْتَ كَفيلُ<sup>(١)</sup>

(١) رسائل ابن حزم الاندلسي ج ١: ٢٤٠، ٢٤١.